سنوات الفوضى في انكلترا بين صراع الغرباء ومصائب الانكليز الحرب الأهلية الانكليزية ١١٣٩ـ ١١٥٤

أ. م. د. حسنين عبد الكاظم عجة

كلية التربية/ جامعة واسط

Abstract

People sometimes fall into the trap of problems, and are in the midst of hardships Which they do not need it. Their country becomes a battleground for the struggle of foreign leaders, and the people pay a high price are wasting the wealth of their country to achieve the greed of their enemies, and multiply price when divided among the conflicting forces, And become fuel consumed by fire devour everyone For foreign leaders does not care about fighting the people of one people but to drain their strength and resources to serve their own interests, The parasitic parties, which distribute themselves to the two groups, demand the earthly aim or to vent hatred and resentment, especially the outsiders who, in turn, They are guided by their political and military references in their countries of origin. These and other facts are being investigated in the light of the facts and consequences of the English Civil War, which arose out of the conflict of the English throne from ١١٣٩ to ١١٥٤.

تـوطئـة

تقع الشعوب أحياناً في شَرَكْ مشاكل، وتخوض غِمار مصاعب هي في غنىً عنها، فتتحول بلادها إلى مضمار لصراع زعامات غريبة عنها، بغية اجترار موارد تلك الشعوب لارضاء نهمها، ويدفع الشعب ثمناً باهضاً ومضاعفاً حين تتشظى فئاته بين القوى المتصارعة، وتنتظم ضمن اتباعها، فيذوق بعضها بأس بعض، وتمسي وقوداً لسجال يلتهم الجميع من أجل تلك الزعامات التي لا يهمها من تقاتل ابناء الشعب الواحد سوى استنزاف قواهم واجترار مواردهم خدمةً لمصالحها الذاتية، ليبدأ الضرر وينتهي بهم، حينها تصبح بلادهم ومزارعهم واطفالهم ونساؤهم مسرحاً لسنابك خيول الغزاة، الذين قد يتوافقون فيما بينهم، فيقتسمون غنائم مضمخة بدماء مساكين مغلوبين على امرهم، ويرمون الفتات على أطراف طفيلية من منتفعي الشعب تبيع نفسها لتلك الزعامات لتقتات على أعطياتهم أو تصفي حساباتها مع بعض فئات شعبها، تاركة الزعامات الغريبة تتفنن في استنزاف موارد بلدها على وفق توجيهات مرجعياتها السياسية والعسكرية في بلدانها الاصلية، وهو ما سنحاول استجلاء عواهنهِ وتحري معطياتهِ في ضوء وقائع الحرب الاهلية الإنكليزية التي اندلعت بسبب الصراع على عرش إنكلترا أثناء القرن الثاني عشر للميلاد.

قرار تسنم ماتيلدا عرش إنكلترا بين رفض البارونات وتآمر ستيفن:

عانت إنكلترا كثيراً من قسوة وليام الأول (William I) الملقب باللقيط (The Bastard) والفاتح (The Conqueror) (١٠٢٨-١٠٦٦/١٠٨٧-١٠٨٧)، منذ غزوه لها عام ١٠٦٦، ودفعت ثمناً باهضاً لتبعات ذلك الغزو طوال عهده، الذي ركز فيه على ترسيخ حكمه لإنكلترا وتوطيد مكانة العرش ومؤسساته على حساب الشعب الذي عانى كثيراً لرفد العرش بالموارد اللازمة لتحقيق أهداف وليم الأول، واستشرت أوضاع إنكلترا إبان عهد ابنه الأوسط وليام روفوس "الأحمر"(William Rufus) (١٠٦٠-١٠٨٧/١١٠٠-١١٠٠)، الذي تفنن في استغلال فئات شعبه كافة، بدءاً بالبسطاء وانتهاءً بالنبلاء، بيد أنها التقطت انفاسها بعد تتويج هنري الأول (Henry I) أبن وليم الفاتح ملكاً عليها (١٠٦٨-١١٠٠/١١٣٥-١١٣٥)[١]، الذي راعى في اصلاحاته مصلحة شعبه إلى حدٍ ما، وبَرَزَ دور العرش بوصفه منقذاً لشعبه من جور النبلاء وظلمهم، فشهدت إنكلترا حقبة استقرار اداري وسياسي انتهى إلى انجازات مهمة، ليس آخرها ايجاد نظام المحلفين والمحاكم المتنقلة التي تنظر

في قضايا الناس في بلداتهم بدلاً من حضورهم إلى المحكمة الملكية حيث مقر العرش، وكبح هنري جماح اللصوص والمتمردين بصورة جعلت إنكلترا استثناءً في ملفها الأمني، وأهلته لنيل لقب "اسد العدالة" بامتياز، وفي الإطار ذاته حرص الأخير على غل يد النبلاء عن استغلال أتباعهم من خلال تحديد سلطة البارونات والاقطاعيين، وقيد اختيار الأساقفة بالزعامات الروحية لكنيسة إنكلترا على وفق اتفاق بيك (Bec) سنة ١١٠٦، المبرم مع رئيس أساقفة كانتربري انسلم، مما انتهى إلى تطور لافت في البنية المؤسساتية لإنكلترا، ورسخ ثوابت النظام الاداري والقضائي والإقتصادي والديني فيها[٢].

قُدِرَ لحقبة عاهل إنكلترا هنري الأول المتمايزة عما قبلها أن تكون وقتية بسبب مشكلة وراثة عرش إنكلترا التي نجمت عن عدم وجود وريث شرعي لهنري الأول[٣]، بعد وفاة ابنه الشرعي الوحيد وليام أديلين (William Adelin)، فيما عُرِف بـ كارثة السفينة البيضاء التي غرقت في بحر المانش في ٢٥ تشرين الثاني ١١٢٠[٤]. مما اضطر هنري الأول لإتخاذ قرار صعب غاير التقاليد الملكية الإنكليزية والخلفية الجرمانية للإنكليز وحاكميهم النورمان على حدٍ سواء، حين عين ابنته الشرعية الوحيدة الإمبراطورة ماتيلدا (١١٠٢-١١٦٧)[٥]، زوجة الامبراطور الروماني هنري الخامس (١٠٨٦-١١٢٥/ ١١١١-١١٢٥) ولية لعهده[٦]. واستخدم تأثيره على باروناته ـ وفي مقدمتهم ابن اخته اديلا ستيفن بلوا المقرب منه ـ لإجبارهم على القسم بتسهيل تسنم ماتيلدا عرش البلاد بعد وفاته[٧]، ومع أن هنري نجح في تحقيق هدفه حين أقسم البارونات في اعياد ميلاد عام ١١٢٦ على موالاة ماتيلدا[٨]، ومنهم ستيفن بلوا، بيد أنهم لم يكونوا مقتنعين بذلك لأسباب تعدت نفورهم من أن تحكمهم امرأة، وهنا من المناسب التنبيه إلى وجود عوائق إضافية أثارت حفيظة أغلب بارونات إنكلترا من هذا القرار، منها مقتهم لسمات شخصية ماتيلدا المتكبرة، المتغطرسة، المتفردة في القرارات بشكل يهدد نفوذهم[٩]، كما أن ماتيلدا هي ابنة ماتيلدا الاسكتلندية ذات الأصل البكتي، وابنة أخت ملك اسكتلندا ديفيد الأول (David I) (١٠٨٤-١١٥٣) الذي اعتقد بارونات إنكلترا أنه سيستغل تسنم ابنة أخته لعرش بلادهم ليحقق مكتسبات على حسابهم لاسيما في شمالها[١٠]، وهو ما أثبتته الأحداث لاحقاً[١١]، كما أن زواج الامبراطورة الأرملة في ٢٦ أب ١١٢٧[١٢]، من نبيل فرنسي هو الكونت جيوفري بلانتاجانت من العائلة الانجوية ذات الإرث العدائي مع العائلة النورمانية[١٣]، أثار غيرة بعض بارونات إنكلترا الذين تمنوا الاقتران بالإمبراطورة ليستأثروا بعرش إنكلترا بعد وفاة أبيها، علماً أنهم حين اقسموا امام عاهلهم على موالاتها لم يكونوا يتوقعون أنها ستقترن من نبيل غير نورماني[١٤]، وزاد نفورهم من الإمبراطورة بعد ولادة ابنها الأكبر هنري عام ١١٣٣، الذي كان بديهياً سيصبح المرشح الأوفر حظاً لعرش إنكلترا بعد امه لينتزع إنكلترا ومكتسباتها من النبلاء النورمان، ويسلمها لنبلاء عائلته الفرنسيين واتباعهم الاقطاعيين[١٥]، وهكذا صاغت هذه الارهاصات وسواها بمجملها موقفاً مناوءاً لتسنم الامبراطورة ماتيلدا عرش إنكلترا، وخلقت بين نبلاء إنكلترا على اختلافهم نزعاتهم نفوراً مشتركاً من ماتيلدا وورثتها[١٦].

تهيأت لستيفن بلوا بوفاة خاله هنري الأول في مدينة ليون-لا-فورييه (Lyons-la-Forêt) شمالي مقاطعة نورماندي فرصة ثمينة لتحقيق هدفه الذي ظل يرنو اليه سنوات في اغتصاب عرش إنكلترا من وريثته الشرعية الإمبراطورة ماتيلدا مستغلاً إنشغالها بمراسيم جنازة أبيها في نورماندي[١٧]، مع أخيها غير الشرعي

روبرت فيتزروي ايرل غلوسستر (Robert, 1st Earl of Gloucester) (١٠٩٠- ١١٤٧)، وبعض بارونات إنكلترا المؤيدين لها، الذين أقسموا على عدم مبارحة فرنسا حتى إتمام مراسيم ملكية لائقة بعاهلهم الراحل[١٨]، مما منح ستيفن متسعاً من الوقت، للاستحواذ على العرش الإنكليزي، فغادر ستيفن مقاطعة بولوني في شمالي فرنسا، متوجها إلى لندن التي وصلها في ٨ كانون الأول ١١٣٥[١٩]، وقد وظف ستيفن عوامل متعددة لتحقيق هدفه أنف الذكر، في مقدمتها الشعبية التي تمتع بها بين أوساط بارونات إنكلترا، ووجود أنصار كُثُرْ بينهم، أبدوا استعدادهم لتسهيل استحواذه على العرش، ونفور أغلب البارونات من تسنم امرأة عرش بلادهم، وعدم استعدادهم لتسهيل مهمتها بتسنم العرش الإنكليزي[٢٠]، كما أن زواجه من ماتيلدا بولوني (Matilda of Boulogne) (١١٠٥-١١٥٢/ ١١٣٦-١١٥٢) التي امتلكت عائلتها النورمانية النبيلة نفوذاً كبيراً في إنكلترا[٢١]، وتمتعه بدعم أخيه أسقف ونشستر هنري بلوا (Henry Blios) (١٠٩٦-١١٧١)، الذي كان ثاني أهم رجل دين في إنكلترا بوصفه مندوب البابا في إنكلترا قد أضاف زخماً كبيراً إلى مساعي ستيفن أنفة الذكر[٢٢]، فضلاً عن عوامل أخرى ـــ بيناها في مقدمة هذه الدراسةـــ انتهت بمجملها إلى رفض أغلب بارونات إنكلترا وأساقفتها لتسنم ماتيلدا عرش بلدهم، ودفعتهم لتفضيل ستيفن عليها، ومن ثم فإنهم استنفروا جهودهم لانجاح مساعي ستيفن، وفي مقدمتهم الأسقف روجر سالزبوري (Roger of Salisbury) (ت١١٣٩)، اللورد هيو بيجود (Hugh Bigod) (١٠٩٥-١١٧٧)، ايرل نورفولك (١٠٩٥-١١٧٧) إلى جانب أسقف ونشستر هنري بلوا الذي توجه بنفسه إلى لندن لكسبها إلى جانب أخيه ستيفن، ومع أن حامية المدينة أغلقت بوابتي دوفر وكانتربري دونه لكنه دخلها عنوة مع فرسانه في ١٥ كانون الأول ١١٣٥[٢٣]، فرحب به بعض سكانها، لكنه اصيب بخيبة أمل بعد فشل جهوده في اقناع رئيس أساقفة كانتربري وليم كوربييل (William of Corbeil) (١٠٧٠-١١٣٦)، بشرعية تولي ستيفن العرش، فقد استنكر رئيس الأساقفة تصرف ستيفن، وأكد أنه لن يحنث باليمين الذي قطعه أمام هنري الأول بموالاة ماتيلدا بوصفها ملكة على إنكلترا[٢٤]، ومع أن أسقف نشستر هنري بلوا حاول كسب وليم كانتربري بتأكيده أن أخيه ستيفن سيمنح الكنيسة ورجالاتها صلاحيات واسعة تجعلها مستقلة عن مؤسسة العرش، وسيسمح لها بإجراء ما تريد من اصلاحات، مقابل دعمه لتسنم ستيفن العرش[٢٥]، بيد أن رئيس أساقفة كانتربري لم يغير موقفه، ولم يلق بالاً إلى مدير القصر الملكي اللورد هيو بيجود، الذي أقسم له أن الملك هنري الأول اوصى وهو في النزع الأخير بمنع ماتيلدا من تولي عرش إنكلترا، وتسليم العرش لابن أخته ستيفن بلوا، واستشكل رئيس أساقفة كانتربري على ما تقدم موضحاً أن كل ما تقدم لا يغير حقيقة قدسية قسم ستيفن وباقي بارونات البلاد بموالاة الإمبراطورة ماتيلدا، حينها أدرك هنري بلوا دقة موقف رئيس الأساقفة، فقرر تبني سياسة فرض الأمر الواقع من خلال كسب مراكز القوى في البلاد[٢٦].

توجه ستيفن إلى ونشستر ليستقطب ولاء نبلائها الزمنيين والدينيين[٢٧]، ثم استلم من الأسقف روجر سالزبوري، مفاتيح الخزانة الملكية التي احتوت على أموال طائلة ناهزت ١٠٠ الف باون إسترليني فضلا عن عدد كبير من التحف والمجوهرات[٢٨]، بعد أن وعده ستيفن وأخيه هنري بلوا بهبات مجزية له ولنظرائه من الأساقفة والنبلاء[٢٩]، مما أعطى انطباعاً لبارونات المملكة أن مصلحتهم تكمن في تولي ستيفن الحكم، فتنامى التيار المؤيد لستيفن على ما سواه، سيما بعد أن خاض ستيفن قدماً في منح ما جادت به أراضي اقطاعاته من

ريع لاقطاب إنكلترا النهمين[٣٠]. حينها تناقصت حظوظ ماتيلدا في تولي العرش وتحجم التيار المعارض لستيفن بالشكل الذي انتهى إلى سقوط أخر رقم صعب راهنت عليه ماتيلدا حين رضخ رئيس أساقفة كانتربري وليم للأمر الواقع، ووافق على تتويج ستيفن ملكاً بدلاً عنها، وهو ما تم في ٢٢ كانون الأول ١١٣٥ في وستمنستر[٣١]، ويبدو أن نبلاء نورماندي الذين امتلكوا اقطاعات على جانبي بحر المانش كانوا يترقبون نتيجة السجال على العرش، مع ميل واضح لـ أل بلوا، ومع أنهم قرروا في اجتماعين منفصلين في ـــ لونيو- بورج وليسيو في مقاطعة نورماندي ـــ استبعاد الإمبراطورة ماتيلدا، ورغبوا في تسنم الكونت ثيوبالد بلوا ـــ الأخ الأكبر لستيفن ـــ حكم دوقيتهم وعرش إنكلترا، بيد أنهم بعد تتويج ستيفن ملكاً رضخوا للأمر الواقع، واختاروه دوقاً عليهم، للحفاظ على اقطاعاتهم الواقعة في إنكلترا[٣٢]، وبلغ نجاح ستيفن ذروته حين كسب ولاء الساعد الأيمن للإمبراطورة روبرت ايرل غلوسستر مقابل وعود بحصول الأخير على بعض المنح والاقطاعات[٣٣].

التطورات التي شهدتها إنكلترا ونورماندي مطلع عهد ستيفن:

استهل الملك ستيفن عهده بحضور حفل تأبيني لهنري الأول في ليون احدى مدن نورماندي[٣٤]، بيد أن عاهل اسكتلندا ديفيد الأول استغل غيابه، فباغت شمالي إنكلترا بهجوم، وأحتل كارلايل ونيوكاسل، فاضطر الملك ستيفن للعودة مسرعاً إلى إنكلترا، وبعد أن عبأ قواته على عجل اتجه إلى الشمال الإنكليزي، فالتقى العاهلان في دورهام، لكنهما استعاضا عن القتال بمفاوضات انتهت إلى احتفاظ العاهل الاسكتلندي بكارلايل فقط، مقابل اعتراف ستيفن بتبعية بعض اقطاعات شمال إنكلترا إلى الأمير هنري أبن الملك ديفيد الأول بوصفه تابع اقطاعي للعرش الإنكليزي[٣٥]، وبعد عودته إلى عاصمته بادر ستيفن لعقد اجتماع مجلس الملك الكبير في وستمنستر بحضور كبار الأساقفة والنبلاء الذين قدموا له الولاء، وأقسموا على دعمه، واقرار شرعية حكومته، وأصدر ستيفن مقابل ذلك ميثاقاً ملكياً، أكد فيه حرص العرش على ضمان امتيازات الكنيسة، وملكيات أساقفتها، والغاء الضرائب المفروضة على اقطاعات بارونات البلاد، وعدم مصادرة العرش لمواردها، ومنح البارونات حق تحصين قلاعهم، وأقر قدسية ملكيتهم لعقاراتهم[٣٦]، وأكد الميثاق ذاته حرص ستيفن على صيانة الحريات العامة، ومراعاة سلطات الكنيسة والنبلاء، كما أرجع الغابات الملكية التي صادرها هنري الأول إلى حدودها القديمة، واعاد العمل بقوانين الملك الأسبق إدوارد المعترف[٣٧]، وأسهم هنري بلوا بقسط كبير في دعم عاهل إنكلترا ستيفن، حين استحصل مواثيق دعم له من عاهل فرنسا لويس السادس وكونت بلوا ثيوبالد[٣٨]، بل أن جهود هنري بلوا أثمرت عن إرسال البابا انوسنت الثاني أواخر عام ١١٣٦ خطاباً إلى الملك ستيفن، اشار إلى تسليم البابوية بشرعية حكمه لإنكلترا ونورماندي، ليصبح الملك ستيفن بمنأى عن محاولات منافسيه، وفي مقدمتهم الإمبراطورة ماتيلدا، لإزاحته عن العرش[٣٩].

وهنا من المناسب القول أن سيطرة الملك ستيفن على بلاده ـــ على الرغم من كل ما تقدم ـــ لم تكن سهلة، بسبب افتقاده سياسة واضحة المعالم في تسيير شؤون مملكته، وشخصيته التي تميزت بالتردد في إتخاذ قرارات حاسمة، مما أنتهى إلى حدوث اضطرابات مكنت بعض النبلاء من توسيع نفوذهم على حساب بعضهم، بل على حساب بعض ممتلكات الملك ذاته[٤٠]، مستغلين إنشغال الأخير بتحديات داخلية وخارجية أشغلته عن التصدي لهم[٤١]، ومما زاد الموقف صعوبة أن تسنم ستيفن للعرش اقترن بإحتجاج الإمبراطورة ماتيلدا وزوجها

جيوفري بلانتاجنت، ثم شروعهما بتدابير لإزاحته عن عرشه بفعاليات قتالية على مرحلتين، يتم في اولاهما الاستيلاء على نورماندي، ثم اتخاذها منطلقاً للسيطرة على إنكلترا، وباشر جيوفري فعلاً في اتخاذ انجو قاعدةً لغزو نورماندي عام ١١٣٦، لكن أغلب نبلاء نورماندي أعلنوا تفضيلهم ستيفن على زوجته ماتيلدا[٤٢]، واستشف جيوفري رغبة اولئك النبلاء في بقاء نورماندي متحدة مع التاج الإنكليزي[٤٣]، ولمس مدى عداوتهم له ولاتباعه الانجويين، حين عبأ اولئك النبلاء قواتهم، وطلبوا دعم الأخ الأكبر كونت بلوا ثيوبالد الكبير لهم (Theobald of Blois) (١٠٩٠-١١٥٢)، واللافت أن الكونت ثيوبالد اقتنص تلك الفرصة للمناداة بنفسه دوقاً على نورماندي[٤٤]، ما حدا بعاهل فرنسا لويس السابع للتدخل في ذلك الصراع شخصياً (Louis Jeune) (١١٢٠-١١٣٧/١١٨٠-١١٨٠)، فحذر الكونت ثيوبالد وجيوفري بلانتاجانت على حدٍ سواء من الخوض قُدُماً في سجالهما مع الملك ستيفن، معلناً أنه بوصفه السيد الإعلى لإقطاعيي فرنسا يعلن تأييده لحقوق ستيفن في نورماندي، ويبدو أن قراناً سياسياً بين عائلتي عاهلي إنكلترا وفرنسا كان وراء ذلك الدعم، ذلك أن عاهل فرنسا سرعان ما زوج أخته كونستانتيا من الإبن الأكبر لستيفن يوستاس (Eustace) (١١٢٧-١١٥٣)، وأقر تبعية دوقية نورماندي له، ولم يجد الكونت ثيوبالد وجيوفري بلانتاجت محيصاً عن إبرام معاهدة مع الملك ستيفن ضمنت لثيوبالد ايراداً سنوياً قدره الفي مارك لقاء ترك أطماعه في نورماندي، وخمسة الأف مارك سنوياً لجيوفري مقابل إبرام هدنة أمدها عامين مع ستيفن[٤٥]، ومع أن الملك ستيفن اعتقد أنه احتوى القوى الرئيسة التي تسبب له المتاعب لكنه سرعان ما واجه خصم لا يستهان به هو روبرت أيرل غلوسستر، الذي أعلن اواخر عام ١١٣٦، تحلله من قسم الولاء لستيفن، ومناصرته لإخته ماتيلدا[٤٦]، ومع أن أحد المؤرخين يرى أن سبب هذا التحول في موقف ايرل غلوسستر نجم عن عدم حصوله على الأموال والاقطاعات التي وعده بها الملك ستيفن سابقاً، والتي كان أيرل غلوسستر يروم استخدامها لزيادة نفوذه وتوسيع ممتلكاته كخطوة أولى لإزاحة ستيفن عن العرش[٤٧]، مستغلاً صلته بعاهل إنكلترا الراحل، ومكانته المهمة بين بارونات إنكلترا، وتمتعه بمهارة وشجاعة جعلتاه أهم فرسان إنكلترا، فضلاً عن شخصيته المؤثرة التي مكنته من استقطاب شطر مهم من بارونات البلاد لإجندته المناوئة للملك ستيفن، بيد أن دعمه لتسنم إخته العرش يضعف الفرضية السابقة لاسيما أنه كان متيقناً أنه بوصفه ابناً غير شرعي للعاهل السابق لن يفلح في الحصول على تأييد البابوية والكنيسة الإنكليزية والمؤسسة الاقطاعية لتسنم عرش إنكلترا، كما أنه لم يجاهر أبداً بتلك الرغبة، بل كان يدعو مراراً إلى تسنم أخته العرش[٤٨]، لذا فإن موالاة ايرل غلوسستر لأخته ماتيلدا، واقتراف ستيفن أخطاء في إدارة إنكلترا كانت السبب الأبرز لانقلاب ايرل غلوسستر عليه، فقد اشتط ستيفن في سياسة لا مسؤولة تجلت بسماحه للبارونات بتحصين قلاعهم وانشاء أخرى، وشحنها بأسلحة ومرتزقة مما شجعهم على اتخاذ قلاعهم مراكز تجمع وانطلاق ضد بعضهم البعض، فضلاً عن استخدام قلاعهم وقواتهم في ابتزاز مواطنيهم الإنكليز المتضررين من تزايد نفوذ البارونات بسبب اخطاء ستيفن[٤٩]، الذي اقترف خطأ جديداً حين استولى على الثروة الشخصية لرئيس أساقفة كانتربري وليام بعد وفاته ليثير أقطاب الكنيسة الإنكليزية ويخسر دعم الكثيرين منهم[٥٠]، ولعل ابرز الذين انقلبوا علناً ضد الملك ستيفن هو رئيس البلاط الملكي السابق هيو بيجود الذي أسهم سابقاً بشهادته المزورة في تنصيبه[٥١]، ولا ريب أن ما تقدم وفر ظروفاً مثالية لإيرل غلوسستر لمناوأة الملك ستيفن علناً، فأرسل خطاب تحدٍ له عام ١١٣٧، بين فيه أنه في حل من ولائه لعدم تنفيذ ما وعده به من منح

وإقطاعات[٥٢]. ومع أن ستيفن سيطر نسبياً على أوضاع بلاده حتى عام ١١٣٨[٥٣]، لكن اموراً متعددة خارجية وداخلية أسهمت في اضعاف نظامه ليس أخرها استغلال عاهل اسكتلندا ديفيد الأول متاعب نظيره الإنكليزي ستيفن مع بارونات، فباشر فعاليات قتالية واسعة النطاق في شمالي انكلترا، في اذار ١١٣٨ بذريعة المطالبة بحقوق ابنة اخته الإمبراطورة في عرش البلاد، التي على وفق ادعائه بعثت له خطاباً التمست فيه مساعدتها على استرجاع حقوقها المسلوبة[٥٤]، وقد قسم عاهل اسكتلندا قواته الغازية الى ثلاث أقسام أحدهما بقيادته، والأخر بقيادة ابنه ابنه الامير هنري (Henry of Scotland) (١١١٤-١١٥٢)[٥٥]، والثالث بقيادة أبرز القادة الإسكتلنديين أخيه وليام دنكان (William Fitz Duncan) (١٠٩٠-١١٤٧)، بهدف تشتيت الجهد العسكري لستيفن وقادته، وقد تقدم وليام دنكان نحو لانكشاير، فهزم جيشاً إنكليزياً كبيراً في معركة كليثرو (Battle of Clitheroe) في ١٠ أيار ١٨٣٨، ومن هناك التحق بأخيه الملك ديفيد في نورثاليرتون (Northallerton) شمالي يوركشاير (Yorkshire) في منتصف الطريق بين الاخيرة ودورهام، بعد أن جلب معه الغنائم، وانطلقا سوياً بأقصى سرعة لمفاجأة الجيش الإنكليزي[٥٦]. فاحتل الأخوان نورثمبريا (Northumbria) وكارلايل (Carlyle) وغيرهما من المقاطعات الأخرى، فدمرت ونهبت هذه الحملة معظم المناطق التي مرت بها وقتلت الكثير من السكان[٥٧].

دفعت تلك المذابح الأسقف تورستين بايويكس (Turstin of Bayeux) (١٠٧٠-١١٤٠) رئيس أساقفة يورك ثيرستان[٥٨]، الى الوقوف ضد هذه الحملة وحاول حث البارونات والسكان المتضررين على مواجهة الغزو الاسكتلندي وتوحيد الصفوف لحماية البلاد[٥٩]، فاحتشدت جموع إنكليزية قرب نورثاليرتون انتظارا لقدوم القوات الاسكتلندية لمواجهتها، بحضور ثيرستان وثلة من رجال الدين[٦٠]، الذين عملوا على اضفاء طابع مقدس على تلك المعركة لرفع معنويات مواطنيهم، فوضعوا في طليعة الجيش رايات مقدسة للقديس بطرس (Saint Peter) (ت ٦٤)، والقديس يوحنا بيفرلي (Saint John of Beverley) (ت ٧٢١)، فضلا عن القديس ويلفريد ريبون (Saint Wilfrid of Ripon) (٦٣٣-٧٠٩)، وسرعان ما تقابل الجيشان في هذه المعركة التي عرفت بإسم معركة العلم (Battle of the Standard) فجر ٢٢ آب ١١٣٨[٦١]، فدارت رحى كفاح ابتداءً من الساعة السادسة وطوال ثلاث ساعات ونصف؛ وانتهت بإنتصار ساحق للإنكليز على الجيش الاسكتلندي الذي فاقهم عددياً، بالغت المصادر في تقديره، فزعمت أنه تراوح بين ١٠ الى ١٢ الف رجل بين قتيل وغريق في نهر تيز (Tees River) ما خلا الجرحى، وأسر خمسين من أفضل رجال الملك ديفيد، فاضطر ابن الملك ديفيد للهرب مع أحد مرافقيه الى كارلايل سيراً على الاقدام، بينما سلك الملك طريقه اليها مع ٢٠٠ من رجاله وسط الغابات والاحراش[٦٢]، وبلغها الملك في ٢٥ آب، يملؤه القلق على سلامة ولده هنري، الذي وصلها بعد أبيه بثلاثة أيام[٦٣]، وسرعان ما انشغل الملك ونجله في إعادة هيكلة قواتهما وجمع فلولها، وبادرا الى محاصرة قلعة وارك (Wark Castle) في نورثمبرلاند ثم فرض سيطرتهما عليها[٦٤].

جرت هذه التطورات جرت بمعزل عن الملك ستيفن الذي انشغل بمواجهة بمتمردي ويلز وحلفاؤهم في الجنوب الغربي لإنكلترا[٦٥]، بما منعه عن التدخل، لتقع وطأة هذا السجال على الشعب الإنكليزي الذي أثبت قدرته على سحق الاسكتلنديين الغزاة عند الضرورة، واللافت أن الملك ستيفن تجاهل ما حققه رعاياه ضد الغزاة

الاسكتلنديين، ولم يستثمره لاجتثاثهم من شمال بلادهم، بل عقد معهم هدنة روكسبيرغ (Roxburgh) في ٩ نيسان ١١٣٨، التي بموجبها تنازل ستيفن عن نورثمبرلاند وكمبرلاند لعاهل اسكتلندا، واحتفظ لنفسه بالحصون مثل نيوكاسل وبامبورو (Bamboo Castle) والنواحي القريبة منها مقابل الكف عن مهاجمة الشمال الإنكليزي[٦٦]، وهو أمر لا نجد تفسيراً منطقياً له سوى نفور وتمرد الكثير من بارونات الملك ستيفن عليه، بذريعة تنصله عن وعوده السابقة لهم بمنحهم مزيداً من الأراضي التي اعتقدوا أنهم يستحقونها، تزامناً مع استنزاف ما تبقى من موارد الخزانة الملكية منذ عام ١١٣٨[٦٧]، ويؤخذ على الملك ستيفن في هذا الصدد أنه لم يذيب الجليد مع باروناته ويراجع أخطائه معهم، بل أستمر على سياسته قصيرة النظر في التعامل معهم، وبضمنهم القوى المتنفذة التي أوصلته للعرش، وكأنه يدفعها للانفضاض عنه، وتحضرنا هنا حادثة اعتقاله للأسقف روجر سالزبوري ومصادرته ممتلكاته في حزيران ١١٣٩ بذريعة تدشينه قلاع دون إذن ملكي[٦٨]، متناسياً دوره المحوري في تسنمه العرش، وموقعه المؤثر بين نظائره الدينين، بوصفه أحد اقطاب الكنيسة الإنكليزية، ونفوذه لدى بارونات إنكلترا وكثرة اقطاعاته وضياعه، بل أن الملك ستيفن اشتط أكثر في معاملة الأساقفة واستولى على أغلب قلاعهم، حينها أدرك أسقف ونشستر هنري بلوا أن السياسة المتخبطة لأخيه الملك ستيفن بلغت اقصى مداها، وأن عليه إعادته إلى صوابه أو نبذ مشتركاتهما تماماً[٦٩]، فطلب أسقف ونشستر من الملك توضيح الأسباب التي دعته للتطاول على حريات الأساقفة الإنكليز، وبين له أنه بوصفه مندوب البابوية في إنكلترا سيستدعيه شخصياً أو من يمثله أمام مجلس كنسي لمساءلته حول ما اقترفه من انتهاكات بحق أقطاب كنيسة إنكلترا على حد تعبيره[٧٠]، وحين أرسل الملك ستيفن متحدثاً بإسمه يدعى اوبري دي فير (Aubrey de Vere) (١٠٨٥-١١٤١) إلى المجلس، أكد اوبري عدم وجود ما يعاب في تصرف سيده ستيفن مع أسقف سالزبوري، وأن الملك ستيفن اعتقله بوصفه بارونا تآمر ضد عرش انكلترا بالتنسيق مع الإمبراطورة ماتيلدا، وهي ذريعة طالما لجأ اليها ملوك إنكلترا حين استغلوا ازدواج الصفة القانونية لأساقفتهم، فاعتقلوا من شاءوا على أساس مناصبهم الزمنية لا الدينية[٧١]. كما القى هيو رئيس أساقفة روان في نورماندي بثقله إلى جانب الملك ستيفن، حين أكد لأسقف ونشستر أنه لا يوجد قانون كنسي يجيز بناء رجل دين قلاع وتملكه اقطاعيات، وأن الإصرار على النيل من ستيفن قد ينتهي إلى ما لا يحمد عقباه، ومع أن أساقفة إنكلترا صمتوا على مضض في هذ المرحلة، بيد أنهم قرروا الانضمام للمعسكر المناوئ للملك ستيفن في الوقت المناسب، لاسيما أسقف ونشستر الذي أدرك أن قلاعه الست التي بناها مؤخراً، فضلاً عن باقي ممتلكاته أصبحت تحت رحمة الملك ستيفن[٧٢]، وهكذا خسر الأخير ولاء أسقف ونشستر هنري بلوا مندوب البابوية في إنكلترا الذي كان المحور الأهم لكسب دعم كنيسة إنكلترا والبابوية لأخيه ستيفن، لذا نبذ هنري بلوا ولائه لستيفن ـــ سراً ـــ لصالح الإمبراطورة ماتيلدا، وتعاهد مع بعض البارونات والأساقفة على دعم تسنمها العرش في حال قدومها إلى إنكلترا، ومن ثم فإن سياسة ستيفن المتخبطة كلفته ولاء بارونات إنكلترا وأساقفتها فضلاً عن شعبها الذي عانى الأمرين في عهده، مما وفر ظروفاً مثالية لنشوب حرب داخلية شعواء بين مختلف القوى في إنكلترا[٧٣].

<u>وقائع الحرب الأهلية بين حصاري ارانديل ولينجفورد ٣٠ ايلول ١١٣٩ ـــ ايلول ١١٤٢</u>:

تشجعت الإمبراطورة ماتيلدا وزوجها جيوفري على مباشرة فعالياتهما القتالية ضد الملك ستيفن على أثر دعوة بعض بارونات إنكلترا المتضررين من حكم ستيفن لماتيلدا بالقدوم إلى إنكلترا، فتمكنت القوات

الانجوية من احتلال بعض القلاع الواقعة على تخوم مقاطعة نورماندي في حزيران ١١٣٩، كمرحلة اولى لغزو إنكلترا، ثم مكثت الإمبراطورة ماتيلدا في تلك القلاع، واتخذت الموانئ القريبة منها معبراً لقواتها نحو إنكلترا[٧٤]، وفي تموز من العام ذاته أرسلت الإمبراطورة اسطولاً ضم أغلب اتباعها بقيادة بالدوين دي ريفيرز (Baldwin de Redvers) الذي اتجه نحو مدينة ويرهام في أقصى جنوبي إنكلترا، بهدف الاستيلاء على مينائها ليكون موطئ قدم للأنجويين وسيدتهم ماتيلدا، بيد أن قوات ستيفن أجبرتهم على التقهقر من ويرهام نحو جنوب غربي البلاد[٧٥]، وفي الشهر ذاته وجهت ارملة هنري الأول ادليزا من ليفوين (Adeliza of Louvain) (١١٠٥-١١٥١)، دعوة إلى الإمبراطورة ماتيلدا للقدوم إلى إنكلترا، فلبت الإمبراطورة الدعوة، بيد أن ما اضعف هذا التدخل افتقار الإمبراطورة إلى امكانات عسكرية لسحق الملك ستيفن، واعتمادها التام على انصارها الانجويين في إنكلترا، فضلاً عن مؤيدي اخيها روبرت ايرل غلوسستر[٧٦]، فقد وصلت الإمبراطورة وأخيها إلى ميناء قلعة اراندل في ٣٠ ايلول ١١٣٩ برفقة ١٤٠ فارساً فقط[٧٧]، ما حدا بأخيها للتوجه شمالاً نحو والينجفورد وبريستول لجمع الانصار، والالتقاء ببارون أخر تمرد على عاهله ستيفن هو مايلز أوف جلوستر، بهدف توحيد جهودهما ضد ستيفن[٧٨].

تبنى عاهل إنكلترا ستيفن اجراءً عسكرياً حاسماً لوأد حركة ماتيلدا في مهدها، حين توجه نحو قلعة اراندل وحاصر ماتيلدا، لكنه لأسباب تكتنفها الغموض وافق على هدنة اقترحها شقيقه هنري بلوا، ففتح الحصار عن ماتيلدا، وسمح لها بالانسحاب مع أتباعها نحو الجنوب الغربي حيث استقر أخيها روبرت غلوسستر وانصاره[٧٩]، ويزعم بعض المؤرخين ان سبب الهدنة حرص هنري بلوا على سلامة الإمبراطورة لإستخدامها مستقبلاً ضد أخيه الملك، واعتقاد الأخير إن الامبراطورة خصم لا يعتد به، وأن الخطر الحقيقي يتمثل بأيرل غلوسستر الذي جعل جنوب غربي إنكلترا مضماراً لنشاطه المناوئ لعرش إنكلترا[٨٠]، كما أن منعة قلعة اراندل وكثرة مؤنها ستطيل أمد الحصار في ظروف سيوظفها روبرت غلوسستر لتعبئة مزيد من الإتباع ضد عاهل إنكلترا، وهناك رأي اخر مفاده أن الملك ستيفن اضطر لاطلاق سراح ماتيلدا انطلاقاً من مراعاته لقيم الفروسية، لاسيما أن ما شاع بين الإنكليز أن ماتيلدا بوصفها امرأة لا تصلح لتسنم عرش بلادهم، ومن ثم لا ينبغي له استهدافها وتصفيتها جسدياً[٨١]، وهو ما انتقده مؤرخون آخرون، واصفين ستيفن برجل قصير النظر مقته أغلب بارونات إنكلترا وأساقفتها، فساندوا ماتيلدا نكاية به[٨٢].

باشر ستيفن بعد إطلاق سراح الإمبراطورة، بفعاليات عسكرية لسحق متمردي جنوب غربي إنكلترا الذين جمعتهم الرغبة في تدميره، ووالى بعضهم الإمبراطورة، وامتد نطاق سيطرة هؤلاء من غرب إنكلترا إلى وسطها، بدءاً بـ غلوسستر وبريستول جنوب غرب ديفون، مروراً بـ كورنوال غرب بلدة مارش الويلزية، وانتهاءً بشرق أوكسفورد ووالينجفورد القريبتين نسبياً من لندن، فتوجه ستيفن نحو قلعة والينجفورد التابعة للكون بريان فيتز (Brien Fitz Count or Brian of Wallingford) (١٠٩٠-١١٤٩)، المقرب من الامبراطورة ماتيلدا، وبعد أن لمس مدى حصانة القلعة، ابقى شطراً من قواته لحصار القلعة، وادام تقدمه غرباً في ويلتشاير لمهاجمة تروبريدج (Trowbridge)، مع الحرص على احتلال القلاع الواقعة على طريق حملته، بيد أن زحف مايلز اوف جلوستر بقواته التي رابطت في غلوسستر في غرب إنكلترا نحو القوات التي أبقاها

الملك ستيفن لإدامة حصار قلعة والينجفورد (Wallingford)، قد هدد لندن ذاتها مما أجبر الملك ستيفن على نبذ فعالياته القتالية في غرب البلاد والعودة إلى شرقها لحماية عاصمته[٨٣]، وتزامناً مع هذه التطورات انظم أسقف إيلي نايجل (Nigle of Ely) (١١٠٠-١١٦٩) مطلع عام ١١٤٠ إلى الإمبراطورة ماتيلدا نكاية بستيفن الذي صادر قلاعه وقلاع نظرائه في العام السابق، وكان نايجل يأمل في الاستيلاء على شرق إنكلترا، وجعل جزيرة إيلي قاعدة لعملياته، لكن ستيفن هب مسرعاً لوئد تمرده، فقاد هجوماً مباغتاً على الجزيرة مستغلاً المستنقعات التي أحاطت قلعتها باستخدام قوارب مصفوفة سوية لتشكيل جسر يمكنه من إحكام قبضته عليها[٨٤]، فهرب الأسقف نايجل إلى روبرت غلوسستر، مستخدماً رجاله طعماً للملك ستيفن الذي نشر حامية ملكية في قلعتها، ليعود الهدوء موقتاً إلى شرق البلاد، لكن ايرل غلوسستر استغل انشغال الملك ستيفن بفعالياته القتالية آنفة الذكر لاحتلال بعض الأراضي التابعة له وسط إنكلترا[٨٥]، ما يحدونا للقول أن نقطة ضعف الملك ستيفن وقوة اعدائه على اختلافهم أنهم في هذه المرحلة من الحرب نسقوا فعالياتهم القتالية في وقت واحد ومواضع مختلفة ليشتتوا جهده العسكري، ويستنزفوا قواه البشرية ومؤنه وموارده، وهي أمور مع أنها تحسب للمتمردين لكنها في الوقت ذاته تبرر اخفاق الملك ستيفن في القضاء عليهم رغم كثرة حملاته العسكرية[٨٦]، والخطير في هذا الوقت أن أساقفة إنكلترا بزعامة هنري بلوا، أعلنوا أنهم في حالة حرب ضد الملك ستيفن، الذي أدرك مغبة دخول رجالات الكنيسة الإنكليزية في معترك الحرب الأهلية[٨٧]، لذا قرر الوصول إلى تسوية معهم للتفرغ لباقي المتمردين، فأرسل ستيفن زوجته ماتيلدا بولوني لإجراء مفاوضات مع أسقف ونشستر هنري بلوا في مدينة باث الإنكليزية، بيد أنها انتهت إلى فشل ذريع، بعد إعلان أسقف ونشستر أن تلك المفاوضات مشروطة بموافقة ستيفن على مطالب مسبقة حددها أقطاب الكنيسة، ليس آخرها إعادة القلاع التي أخذها منهم سابقاً، وإطلاق سراح نظرائهم المعتقلين، والتعامل معهم بما يتوافق مع مكانتهم الدينية، ورتبهم الإقطاعية[٨٨]، وزاد الأمر تعقيداً بعد ظهور متمرد جديد هو رانولف تشيستر الذي استاء من منح الملك ستيفن أهم اقطاعات شمالي إنكلترا إلى الامير هنري ابن عاهل اسكتلندا ديفيد الأول[٨٩]، فنصب كميناً فاشلاً للامير هنري أثناء توجهه من بلاط سيده الإقطاعي الأعلى ستيفن إلى اسكتلندا مطلع عام ١١٤٠[٩٠]، كما ادعى رانولف أحقيته في قلعة لينكولن التابعة للملك ستيفن، وسيطر عليها فعلاً[٩١]، حينها توجه الملك ستيفن إلى القلعة، ودخل في محادثات مع احد رجالات رانولف، تظاهر الملك أثناءها بموافقته على تبعية القلعة لرانولف مقابل عدم انضمامه إلى الإمبراطورة، وانه سيعود إلى لندن، بيد أنه بعد انسحابه المزيف وردته معلومات أن رانولف فتح بوابات القلعة، فعاد الملك مسرعاً وحاصر القلعة التي هرب منها رانولف تشيستر لينظم إلى أنصار الإمبراطورة ماتيلدا[٩٢].

تزامنت هذه التطورات مع نجاح ايرل غلوسستر روبرت في جمع جيش كبير ناهز عدده ١٠ آلاف مقاتل، أواخر كانون الثاني ١١٤٠، وسار برفقة رانولف تشيستر نحو قلعة لينكولن التي كانت تحت حصار الملك ستيفن[٩٣]، وحين وصلت الأخبار إلى ستيفن، عقد مجلساً استشارياً، ليقرر ما أذا كان سيخوض المعركة؟ أم ينسحب ويؤجلها ريثما يهيئ مستلزماتها؟، فخلص المجلس إلى امكانية خوض المعركة، وهو ما حصل فعلاً في ٢ شباط ١١٤١[٩٤]، وكان عاهل إنكلترا ستيفن يقود قلب الجيش، فيما وضع اللورد آلان بريتاني (Alan of Penthièvre of Brittany) (١١٠٠-١١٤٦) على يمينه[٩٥]، ووليام أوميل (William d'Aumale

(Crassus (ت ١١٧٩) عن يساره[٩٦]، ويؤخذ على الملك ستيفن أنه طلب من أغلب فرسانه أن يتركوا خيولهم ويقاتلوا راجلين بوصفهم مشاة، وانضم اليهم حين قاتل راجلاً، فيما عول روبرت ورانولف على سلاح الفرسان[٩٧]، ولما لم يكن ستيفن خطيباً مفوهاً؛ فقد فوض مساعده بالدوين (Baldwin of Clare) (ت ١١٤١) بإلقاء خطبة قبيل المعركة لرفع معنويات قوات عاهل إنكلترا[٩٨]، ومع بدء المعركة دمرت قوات الميسرة التي قادها وليام اوميل المشاة الويلزيين والانجويين (Angevins)[٩٩]، لكن الفرسان الويلزيين الذين قادهم رانولف تشيستر حاصروا قلب جيش ستيفن، فسارت المعركة باتجاه هزيمته، لاسيما بعد ان فر العديد من كبار مؤيديه من الميدان، بما فيهم الدوق واليران بيومونت (Waleran de Beaumont) (١١٠٤-١١٦٦) ووليام يبريس (William of Ypres) (١٠٩٠-١١٦٥)، ومع أن الملك ستيفن ثبت مع ثلة قليلة من جنده، واستمر يقاتل بضراوة بسيفه، ثم استعار فأساً من احد جنوده لإكمال السجال، بيد أن ذلك الصمود اليائس نم عن شجاعة فردية، انتهت الى إحاطة رجال روبرت بالملك وأسره[١٠٠].

اقتاد روبرت جلوسيستر الملك ستيفن إلى قلعة أروندل غربي ساكس، ليلتقي هناك مع اخته الإمبراطورة ماتيلدا، ثم نقله إلى قلعة بريستول التي خُصِصَتْ للأسرى من ذوي الشأن، وكانت ظروف اعتقال الملك ستيفن جيدة نسبياً أول الأمر، لكن الأمر تغيّر لاحقاً، إذ تم تقييده بالأغلال تزامناً مع مباشرة الإمبراطورة ماتيلدا بالخطوات اللازمة لتتويجها ملكة على إنكلترا بدلاً من ستيفن، ووردت إلى الأخير أنباء سيئة مفادها أنه بمجرد وقوعه في الأسر انفض أغلب البارونات والأساقفة عنه، بما فيهم اخيه الأسقف هنري بلوا، الذي سارع لإعلان ولائه لإبنة خاله، ولم يتردد في تبرير تنصله من طاعة اخيه بمبررات دينية[١٠١]، وبانتظار تتويجها اعلنت الامبراطورة ماتيلدا نفسها ملكة على إنكلترا ودوقة على نورماندي[١٠٢]، وذهبت إلى لندن لتتوج تتويجاً شرعياً كحال أسلافها، وكان عليها أولاً الحصول على موافقة أقطاب الكنيسة على ذلك بغية تتويجها في كنيسة ويستمنستر المكان الشرعي والرسمي للتويج[١٠٣]. فأستقبلها الأسقف هنري بلوا معلناً : "أن من يقف مع ماتيلدا سيدخل في نعمة الرب، ومن يقف ضدها ستصيبه لعنته"، وتزامناً مع هذه التطورات قرر الكونت جيوفري بلانتاجانت استثمار ما حققته زوجته في إنكلترا، ليضم نورماندي إلى ممتلكاتهما، فاجتاز حدود نورماندي مرة أخرى في غياب الدوق واليران بيومنت الذي كان لا يزال يقاتل في إنكلترا، واقتاد جيوفري كل دوقات منطقة جنوب نهر السين إلى منطقة اخرى هي نهر رايزل (River Risle)، فلم يحرك الكونت ثيوبالد بلوا ساكناً للدفاع عن ممتلكات أخيه الأسير لأسباب ليس آخرها انشغاله بمشاكله الخاصة مع بعض نبلاء فرنسا، كما رفض عاهل فرنسا الجديد لويس السابع، تحالفات والده لويس السادس (Louis VI) (١٠٨١-١١٣٧/ ١١٠٨-١١٣٧) الإقليمية السابقة، وكان يرى ضرورة تحسين العلاقات مع دوق أنجو[١٠٤]، وبالفعل بدأ نجاح جيوفري في نورماندي من جهة، وأسر الملك ستيفن في إنكلترا من جهة اخرى يؤثر على ولاء العديد من البارونات الأنكلو- نورمان، الذين تخوفوا من قيام الإمبراطورة التي أوشكت على تسنم العرش بمصادرة أراضيهم في إنكلترا، وذهاب ما تبقى منها في نورماندي إلى زوجها جيوفري[١٠٥]، لذا نبذ الشطر الأعظم من بارونات ستيفن وقواده ولاءهم اليه، ومنهم واليران أقرب أصدقاء ستيفن إليه وأهم مستشاريه، الذي قرر التخلي عن سيده في منتصف عام ١١٤١، فعبر المانش الى إنكلترا بغية تأمين ممتلكاته فيها من خلال إبرام صفقة تحالف مع الانجويين فيها، وأقنع دوق مقاطعة ورشستر الإنكليزية (Worcester shire) بالانضمام إلى معسكر

الإمبراطورة[١٠٦]. كما انسحب دوق ليستر روبرت بيومونت (Robert de Beaumont) (١٠٤٩-١١١٨) شقيق واليران التوأم من الصراع، واستعاد مؤيدون آخرون للإمبراطورة معاقلهم السابقة، مثل الأسقف نايجل إيلي (Nigel of Ely) (١١٠٠-١١٦٩)، أو حصلوا على لورديات جديدة غربي إنكلترا، وبدأت السيطرة الملكية على سك العملات المعدنية تتراخى مما أدى إلى تراجع قيمتها، وقيام البارونات المحليين والأساقفة في انحاء متفرقة من البلاد بسك عملات خاصة بهم[١٠٧].

استثمر أسقف ونشستر تلك التطورات، فعقد مجلساً في وينشستر قبل عيد الفصح الموافق مطلع نيسان ١١٤١ بصفته المندوب البابوي لاستخلاص وجهات نظر رجال الدين، بعد أبرامه صفقة مع الإمبراطورة مفادها أنه سيضمن لها دعم رجال الدين مقابل منحه السيطرة على بعض املاك الكنيسة الإنكليزية، ولما ضمن موافقتها سلمها الخزانة الملكية، ولم يُبْقِ فيها سوى التاج الذي احتفظ به ليوم تتويجها، ولما رأى أسقف ونشستر ــ ثبات بعض انصار ستيفن على ولائهم له، ورفضهم لخيانته ــ أعلن مقت الكنيسة الإنكليزية لهم، وشرعن سلب املاكهم[١٠٨]، بيد أن الإمبراطورة ماتيلدا في ذروة نجاحها تناست أهمية المرونة مع بارونات البلاد وأساقفتها، وارتكبت اخطاء فادحة انعكست سلباً على تدابيرها في تسنم عرش إنكلترا، ليس أخرها رفضها الاعتراف بالقوانين الـ ٣٩ للملك ادوارد المعترف (Edward the Confessor) (١٠٣٣-١٠٦٦/ ١٠٤٢-١٠٦٦) المعروفة بـ (Leges Edward Confessoris)[١٠٩]، ومصادرتها املاك الكنيسة في أغلب المناطق التي سيطرت عليها، مما أثار استياء رجال الدين، كما أنها أرهقت سكان لندن بضرائب باهضة، وخاضت قُدُمَاً في فضاضتها مع البارونات وتعاليها عليهم، وأظهرت قسوة نفرتهم منها، وعاملت زوجة ستيفن ماتيلدا بولوني التي جاءتها إلى لندن قبيل تتويجها بجفاء، رافضةً طلبها بإطلاق سراح زوجها[١١٠]، مما انتهى إلى انفضاض الكثيرين من حولها[١١١].

وجاءت الضربة الشديدة لنفوذ الإمبراطورة ماتيلدا من رئيس أساقفة كانتربري ثيوبالد (Archbishop Theobald of Canterbury) (١٠٦١-١١٩٠) الذي رفض فجأة إعلان ماتيلدا ملكة، بذريعة التأني لتجنب حدوث ما لا يحمد عقباه، ومع أن بعضهم عزا سبب موقف ثيوبالد إلى اشمئزازه من الصفقة التي ابرمتها الإمبراطورة مع أسقف ونشستر هنري بلوا مقابل تتويجها، بيد أن ثيوبالد استشف من سياساتها آنفة الذكر أسباباً منطقية لإستبعادها من وراثة العرش، معلناً ضرورة تشكيل وفد ديني على مستوى عال برئاسته لمقابلة الملك ستيفن المعتقل في بريستول[١١٢]، لإجراء محادثات معه حول كيفية تحلل البارونات والأساقفة من قسم الولاء له، على أساس أن الكنيسة الإنكليزية لا تستطيع سحب شرعية الملك ستيفن وترشيح الإمبراطورة للعرش، بسبب تقاطع ذلك الأمر مع توجهات البابوية التي أعلنت غير مرة دعمها لستيفن بوصفه الملك الشرعي الأوحد لإنكلترا، مما يقتضي التوصل الى حل حاسم مع الملك الأسير يبرر موقف الكنيسة الإنكليزية أمام مرجعيتها الدينية، وأثناء اللقاء أبدى الملك ستيفن بعد نظر جعل الوفد الديني في حيرة من أمره، بعد أن أعلن الملك ستيفن عدم اعتراضه على مواقف رعاياه من مسألة تخليه عن العرش على وفق قناعاتهم، ومع أن أسقف ونشستر هنري بلوا حاول تدارك الأمر فطلب من بعض كبار رجال الدين إعلان الإمبراطورة ماتيلدا سيدة على إنكلترا ونورماندي مقدمة لتتويجها[١١٣]، لكن الإمبراطورة لم تمهله، لتثبت قصر نظرها، ذلك أنها بدل دعم جهوده

وتشجيعه على تهيئة مستلزمات تتويجها، بل توجست من تزايد نفوذه، وظنت أنه في الخفاء يعرقل تسنمها العرش[١١٤]، وهو أمر دل أيضاً على هشاشة تحالفهما، واستناد علاقتهما إلى دوافع مصلحية ذاتية شديدة الانانية، وكان تأخر حسم الصراع وتعاطف كثير من رجال الدين، وفي مقدمتهم رئيس أساقفة كانتربري ثيوبالد مع الملك الأسير، والسياسة الواجب اتباعها مع أنصاره السبب الرئيس للخلاف بين الطرفين، أسباباً مضافة لتوجس الإمبراطورة من البطانة السابقة للملك ستيفن[١١٥]، وسرعان ما انتهى خلاف الإمبراطورة مع الأسقف هنري بلوا إلى ابعادها له خارج لندن لتضيف لها عدواً جديداً، تزامناً مع إعلان الأسقف نايجل دعمه إلى الملكة ماتيلدا بولوني زوجة ستيفن عاهل إنكلترا الأسير[١١٦]، كما قاد النورمندي وليام مارتل (William Martel) (١١٣٠-١١٥٣) ـــ أحد القادة المخلصين للملك ستيفن ـــ عمليات عسكرية من بلدة شيربورن (Sherborne) الواقعة شمال غرب دورست جنوب غربي إنكلترا، وأدار فاراموس بولوني (Faramus of Boulogne) (ت ١١٨٣) شؤون العائلة المالكة بصورة سرية في لندن، هنا اصبحت الأمور في مصلحة الملكة ماتيلدا بولوني، التي مارست نشاطاً مكثفاً في تأكيد حق زوجها في العرش، مستغلة سطوة اسرتها ونفوذهم، فبدأت ماتيلدا بولوني تجد تعاطفاً حقيقياً ودعماً من أتباع زوجها والموالين له، فضلاً عن المتضررين من الامبراطورة، مما مكن ماتيلدا بولوني من استقطاب مزيد من بارونات جنوب شرقي إنكلترا لصالح زوجها ستيفن فتقدمت نحو لندن، لكن سكانها الذين خافوا سطوة الإمبراطورة ماتيلدا رفضوا استقبالها[١١٧]. حينها قرر الأسقف هنري بلوا مساندة زوجة اخيه ماتيلدا بولوني ضد الإمبراطورة ماتيلدا، فقاد ثورة في لندن ضد الاخيرة في ٢١ حزيران ١٠٤١، بدعم كثير من البارونات الذين أعلنوا رفضهم تولي امرأه عرش إنكلترا لمبررات اقطاعية، وأخرى تتعلق بمبادئ الفروسية[١١٨]، مما اضطر الإمبراطورة للفرار نحو أوكسفورد[١١٩].

تم في نهاية المطاف إطلاق سراح الملك ستيفن بعد هزيمة انصار الامبراطورة ماتيلدا وحلفائها الانجويين في معركة وينشستر، فقد حاصرت قوات تابعة لهنري (شقيق ستيفن) قوات روبرت غلوسستر واخته الإمبراطورة في مدينة وينشستر في تموز ١١٤١. ثم الحقت الملكة ماتيلدا بولوني ووليام ابرس هزيمة منكرة بالقوات الأنجوية الموالية للإمبراطورة، المدعومة بجيش خاص تم تعزيزه بقوات جديدة قدمت من لندن[١٢٠]. وفي معركة لاحقة هُزمت قوات الإمبراطورة أيضاً، وتم أسر أخيها روبرت غلوسستر نفسه. حينها عرضت الامبراطورة الدخول في مفاوضات موسعة للتوصل إلى سلام عام، لكن الملكة ماتيلدا لم تكن راغبة في تقديم أي تنازل للإمبراطورة، كما رفض روبرت وهو في الاسر قبول أي عرض لاستمالته إلى جانب الملك ستيفن ضد اخته الامبراطورة[١٢١]، وبدلاً عن ذلك؛ توصل الطرفان في ١ تشرين الثاني١١٤١إلى مبادلة الملك الاسير، بإيرل غلوسستر المعتقل، وسارع ستيفن بمجرد اطلاق سراحه إلى إعادة تنظيم دولته وسلطته، كما عقد أخوه الامير هنري مجلساً كنسياً آخر، أعاد تأكيد شرعية ستيفن للحكم، واعلن بدء تتويج جديد للملك ستيفن وزوجته ماتيلدا في عيد الميلاد عام ١١٤١[١٢٢].

قرر ستيفن في النصف الثاني من عام ١١٤٢ اقناع رانولف تشيستر بترك الإمبراطورة والانضمام اليه، فسافر إلى شمال انكلترا وباشر بمحادثات ناجحة مع رانولف أسفرت عن عودته إلى طاعة عاهل انكلترا، ثم قضى عاهل انكلترا ما تبقى من صيف ذلك العام في مهاجمة بعض قلاع الانجويين التي بنيت في العام

السابق، ونجح في ايلول ١١٤٢ في السيطرة على قلاع سيرنسيستر (Cirencester)، وبامبتون (Bampton) وويرهام (Wareham)، ليصبح طريق اعتقال الإمبراطور ماتيلدا ممهداً امام ستيفن، الذي قرر مهاجمة اكسفورد حيث مقر الإمبراطورة، مستغلة حصانة أسوارها والتفاف نهر إيزيس (Isis River) عليها ليشكل حاجزاً طبيعياً زاد من منعتها[١٢٣]، عليه قاد ستيفن هجومًا مفاجئًا عبر النهر، وأمر جنوده في ذلك الجو البارد بخوض النهر سباحة للوصول إلى الجانب الآخر، وسرعان ما اقتحم الملك ورجاله المدينة، لتغدو الإمبراطورة محاصرة في قلعة أوكسفورد العنيدة، بيد ان الامبراطورة ماتيلدا تمكنت قبل عيد الميلاد مباشرة من مغادرة القلعة خفية، وعبرت النهر المتجمد سيرا على الأقدام متجهة إلى والينجفورد الواقعة في ريف اوكسفورد[١٢٤].

عرش إنكلترا بين صراعاته مع البارونات، وخلافاته مع الأساقفة (١١٤٣ – ١١٤٧):

استغل جيوفري بلانتاجانت في عام ١١٤٣ انشغال الملك ستيفن بسجالاته العسكرية في انكلترا، فهاجم نورماندي وبدأ يقتطع مدنها وقلاعها واحدة تلو الأخرى، طوال هذا العام[١٢٥]، ولإدامة هذا الزخم العسكري باشر صهر ايرل غلوسستر روبرت بفعاليات قتالية جريئة على قوات الملك ستيفن، فحاصر ايرل غلوسستر بقواته قلعة ويلتون (Wilton Castle)، في مقاطعة هيريفورد (Hereford shire)، التي تجمعت فيها القوات الملكية التي قادها الملك ستيفن شخصياً، وحين حاول الأخير الانسحاب من القلعة تجنباً لهذه المواجهة غير المتكافئة طوقته قوات ايرل غلوسستر، فحدثت معركة ويلتون (Battle of Wilton) في ١ تموز ١١٤٣، التي أثبت فيها الفرسان ألانجويون مرة أخرى قدرتهم على حسم المعركة، وكاد ستيفن يقع في الأسر مجدداً[١٢٦]، لولا المناورات العسكرية الشرسة التي قام بها مسؤول حمايته اللورد وليام مارتل خلف قطعات الجيش الانجوي بما أسفر عن انشغالها بالتصدي له وأسره، تاركة الملك ستيفن ينجو بنزرٍ قليل من قواته، ويحسب للملك ستيفن عدم تخليه عن اللورد وليام مارتيل، وتنازله عن حصن شيربورن (Sherborne Castle) للانجويين مقابل إطلاق سراح القائد الشجاع وليام مارتيل [١٢٧].

ويؤخذ على الملك ستيفن أنه برغم ما تعرض له من نكبات وهزائم لم يرعوي عن سياسة الشد والجذب مع نبلائه، مما أدى إلى نشوب أزمة جديدة مع إيرل إسيكس جيوفري ماندفيل (Geoffrey de Mandeville) (ت١١٤٤)، الذي امتلك اقطاعات وضياع على تخوم لندن، ما حدا بالملك ستيفن لاستدعائه إلى بلاطه، وحين وصل الإيرل اعتقله الملك ستيفن، وهدد بإعدامه، ما لم يسلم تلك القلاع، بما فيها سافرون والدن (Saffron Walden) وبليشي (Pleshey)، وجميع التحصينات الأخرى المتاخمة للندن[١٢٨]، فاضطر جيوفري ماندفيل للموافقة، لكنه بمجرد اطلاق سراحه عول على الانتقام، فاتجه إلى شمال شرقي انكلترا أواخر ١١٤٣، ومن هناك أعلن تمرده على الملك ستيفن وولائه للامبراطورة، وباشر بتعبئة قواته في فينس (Fens) حيث جزيرة إيلي (في كامبردج)، وبدأ من هناك حملة عسكرية ضد كامبريدج تمهيداً للتقدم نحو لندن، بيد أن الملك لم يحرك ساكناً لانشغاله بتمرد جديد قام به أيرل نورفولك هيو بيجود في اقطاعاته، ولا بد أن شحة موارد الملك ستيفن وانشغالة ببناء سلسلة قلاع على تخوم لندن أهمها قلعة بورويل (Burwell Castle) كانت وراء هذا الصمت[١٢٩].

ولا غرو أن ينتهي كل ما سبق إلى تفاقم الوضع، واستشراء التمردات، وهذه المرة جاء التمرد من رانولف تشيستر الذي ثار مجدداً صيف ١١٤٤، احتجاجاً على منح الملك ستيفن بعض الضياع القريبة من لانكستر إلى الأمير هنري ابن عاهل اسكتلندا، تزامناً مع تركيز روبرت أيرل غلوسستر وأتباعه على مهاجمة احاميات الملكية المرابطة في القلاع الواقعة في غرب انكلترا، وتنامي قوة اتباع الإمبراطورة في قلعة والينجفورد القريبة من أوكسفورد، ومن ثم فإن يد الملك ستيفن غلت تماماً عن التصدي للفعاليات القتالية لجيوفري بلانتاجانت في نورماندي التي أدت إلى وقوع العاصمة روان (Rouen) في قبضته مطلع عام ١١٤٤ لتسقط باقي المدن تباعاً[١٣٠]، ويعلن نفسه دوقاً على نورماندي التي فقدها ستيفن للابد، واصبح حكم جيوفري بلانتاجانت دوقاً شرعياً لنورماندي حين اعترف الملك لويس السابع به دوقاً عليها بعد مدة وجيزة، وهكذا ادرك الملك ستيفن أنه فقد الدعم السابق لبارونات نورماندي، فضلاً عن أغلب بارونات انكلترا، فزاد اعتماده على أنصاره وباروناته المقربين، بيد أن ما صب في مصلحة الملك ستيفن أن البارونات المتمردين لم ينسقوا فعالياتهم القتالية ضده، وأن ولائهم للإمبراطورة فيما عدا ايرل غلوسستر ومايلز اوف جلوستر ظل نظرياً لم تترتب عليه نتائج عملية، الامر الذي مكنه من احتوائهم لسهولة استرجاع ولائهم، أو قدرته على كبح جماحهم بوسائل منها استدراجهم إلى بلاطه واعتقالهم، أو مفاجأتهم بحملات عسكرية ناجحة[١٣١]، كما أن وفاة بعضهم جنبته مشقة التصدي لهم، مثل مايلز جلوسيستر أحد ابرز القادة الانجويين المؤيدين للإمبراطورة الذي توفي أثناء رحلة صيد خلال اعياد ميلاد ١١٤٣، مما خفف الضغط نسبيا في الغرب، ووفاة جيوفري ماندفيل أثناء هجومه على بورويل في أيلول ١١٤٤[١٣٢].

وهنا من المناسب القول أن الفعاليات القتالية في غرب انكلترا منذ عام ١١٤٥ بدأت تصب في مصلحة الملك ستيفن، الذي استعاد قلعة فارنغدون (Faringdon Castle) في مقاطعة أوكسفورد، ولانهاء سجالات شمال انكلترا توصل الملك ستيفن إلى اتفاق جديد مع رانولف تشيستر، لكنه كرر في عام ١١٤٦ الخدعة ذاتها التي مارسها مع جيوفري سنة ١١٤٣، حين دعا رانولف إلى بلاطه، ثم اعتقله وهدد بإعدامه ما لم يسلمه عددا من قلاعه بضمنها قلعتي لينكولن وكوفنتري (Coventry)[١٣٣]؛ فتظاهر رانولف بالموافقة بيد أنه فور اطلاق سراحه عاد إلى التمرد، وهكذا اصبح الوضع حرجا بالنسبة لستيفن لأنه لا يملك سوى القليل من القوات في الشمال لمباشرة حملة جديدة، في حين افتقر رانولف إلى القلاع للتصدي لهجمات ستيفن وتنظيم غارات مضادة، لأنه سلمها اليه أثناء تواجده في بلاطه، ولا ريب أن ما تقدم أثار حفيظة النبلاء الذين احجموا عن تلبية دعوته لهم إلى بلاطه[١٣٤].

اتسع نطاق الحرب الأهلية بحلول عام ١١٤٧، حتى : "لم يعد هناك شيء خلال تلك السنين سوى الاضطراب والقتل والسلب"[١٣٥]. وسادت الفوضى في أجزاء كثيرة من البلاد، منها ويلتشير (Wiltshire) وبيركشاير (Berkshire) ووادي نهر التايمز (Thames Valley)، فضلا عن بلدة شرقي أنجليا (East Anglia) شرقي إنكلترا، وتسبب القتال والغارات في دمار خطير[١٣٦]. ولإدامة مسلسل النهب انفق أغلب البارونات اموالاً كثيرة في بناء مزيد من القلاع، وسرت هذه العدوى إلى الزعماء المحليين الذين اذاقوا سكان الارياف ظلما وطغيانا، وقدر المؤرخ المعاصر الراهب روبرت تورجني (Robert Torigny) (١١١٠-

١١٨٦) عدد هذه القلاع بـ ١٢٦[١٣٧]، في حين قدر بعضهم عددها بأكثر من ٣٠٠ قلعة دشنت دون موافقة العرش[١٣٨]، وبالغ سواه في عددها، إلى حد الزعم بـــ : "أن إنكلترا ملئت بالقلاع"[١٣٩]، ولا غرو أن ينعكس ذلك بشدة على انكلترا التي شهدت انفلاتاً أمنياً خطيراً، لاسيما بعد أن اتخذ كثير من نبلائها قلاعهم أنفة الذكر منطلقاً لشن غاراتهم فيما بينهم، فـ "زادت الحروب الخاصة بين البارونات"، وسرعان ما انتهز كثير من النبلاء والمتنفذين فرصة التردي الأمني للإثراء غير المشروع على حساب البسطاء من أبناء جلدتهم فـ "عاشوا كاللصوص في عرائنهم" على حد تعبير بعضهم[١٤٠]، أو كـ " شياطين أتخذت من قلاعها منطلقاً لتعذيب الناس طمعاً في استخلاص ثرواتهم"[١٤١]، فهاجموا كثير من البلدات والقرى واعتقلوا سكانها لا لشيء سوى الرغبة في الحصول على ما خبأوه من أموال ومقتنيات، وقد اتبع النبلاء قسوة مفرطة مع أسراهم لإجبارهم على الإعتراف عن أماكن ذخائرهم وأموالهم، وتبنوا اسلوباً متطرفاً وتفنناً في تعذيبهم بشكلٍ لم تشهد له انكلترا، فكان النبلاء "يعلقون الناس من أقدامهم ويضعونهم في حفر مليئة بالنار لِيُخْنَقوا بدخانها الكريه، أو يربطون أصابع أيديهم بخيوط رفيعة ويعلقونهم على أعمدة خشبية ساعات طوال، أو يلفون خيوطاً حديدية رفيعة حول رؤوسهم ويعلقونهم فتنفذ تلك الخيوط تدريجياً إلى جماجمهم، أو يزجونهم في سجون مليئة بالافاعي والعقارب والضفادع التي تزحف نحوهم"[١٤٢]، وأخرون "يحشرون في حفر ضيقة مطوقة بأحجار حادة أو رؤوس رماح لإيذائهم وكسر أطرافهم وفي كثير من القلاع صممت آلة سميت ربطة العنق، وهي أطواق حديدية توضع في اعناق الضحايا وتتصل بسلسلة حديدية لمنعهم من الجلوس والنوم"[١٤٣]، وسواها من أساليب لإنتهاك إنسانيتهم وإجبارهم على الإعتراف، ولا غرو بعد كل ذلك أن تناقل بسطاء الإنكليز قولاً مفاده : "أن السيد المسيح وقديسيه نائمون"، في إشارة إلى اعتقادهم بتخلي الرب عنهم[١٤٤].

تفاعلت حيثيات هذه الفوضى مع بعضها لتنتهي إلى إنهيار نقدي في عموم إنكلترا، كان من مظاهره سك الملك ستيفن والإمبراطورة، وبعض البارونات عملات خاصة بهم، فتخوف التجار الاغنياء من هذا الاضطراب النقدي وانخفاض قيمة العملات الإنكليزية على اختلاف أصحابها، وفضلوا تصدير المواد الاولية خارج البلاد، لاسيما الصوف الخام الإنكليزي المشهور بجودته ليفرغوا السوق منها، مما اثراهم إلى حدٍ مذهل[١٤٥]، تزامناً مع استنزاف موارد المتحاربين والسكان المبتلين بحرب لا مصلحة لهم فيها، كما انهار قانون الغابات الملكي (Royal Forest Law) في أجزاء واسعة من البلاد[١٤٦]، مما انتهى إلى اضمحلال هذه الغابات بعد أن تعرضت حيواناتها لصيد جائر، وحرائق كثيرة إبان سنوات الحرب[١٤٧]، وكان عاهل انكلترا ستيفن أكثر المتضررين بعد أن انخفض دخله الإجمالي من ممتلكاته ابان سني الحرب إلى درجة كبيرة، وأصبحت السيطرة الملكية على سك العملات المعدنية الجديدة في مناطق محدودة من مملكته[١٤٨].

بدأت طبيعة الصراع في إنكلترا تنحو نحو الانفراج باستثناء اندلاع القتال من حين لآخر، لاختفاء أغلب شخوصه الرئيسيين، فقد توفي ايرل غلوسستر روبرت عام ١١٤٧، فشعرت اخته الإمبراطورة باليأس من حسم سريع للنزاع بسبب رحيله ما حدا بها لمغادرة انكلترا إلى نورماندي[١٤٩]، كما أن مشاركة أغلب أفراد الأسرة الانجوية ومؤيدي الإمبراطورة لاسيما واليران بيومونت في الحملة الصليبية الثانية (١١٤٥-١١٤٩) قد أضعف الجهد العسكري المناوئ لستيفن[١٥٠]. كما أن ما شهدته انكلترا من دمار دفع أكثر البارونات لابرام اتفاقات

سلام فردية مع بعضهم لتأمين أراضيهم والتخلص من الآثار المدمرة للحرب[١٥١]، ولم يكن غريباً في ظل هذه التطورات أن تفشل الحملة التي قادها جيوفري بلانتاجانت وابنه هنري عام ١١٤٧ ضد بعض مؤيدي ستيفن في انكلترا، لاسيما أن هنري افتقر إلى الأموال اللازمة لدفع مستحقات رجاله، واللافت أن ستيفن دفع تلك المستحقات للاطمئنان على عودة هنري إلى نورماندي سالماً[١٥٢]، وهو ما عده بعضهم محاولة من ستيفن لفتح صفحة جديدة مع الانجويين لإنهاء الحرب وإحلال السلام، وكان دفع المستحقات الوسيلة الأفضل لتفريق فرسانه وجنوده فضلاً عن تقوية العلاقات معه، فيما يرى آخرون ان ستيفن راعى في اجرائه انف الذكر صلة القرابة مع هنري بلانتاجانت[١٥٣].

السجالات النهائية للحرب، وإبرام معاهدة السلام (١١٤٩-١١٥٤):

ركز الملك ستيفن خلال السنوات الأخيرة من الحرب على توريث عرشه إلى نجله الأكبر يوستاس. وكان يود ان يستكمل الإجراءات القانونية، والمراسيم الشرعية التي يتطلبها هذا الأمر، متجاهلاً سوء سمعة ولده، وقسوته المفرطة مع تابعيه الإقطاعيين، وفرضه ضرائب باهضة عليهم، والتفنن في ابتزازهم مالياً، بما جعل يوستاس شخصاً غير مرغوب فيه، ويضع عقبات كثيرة أمام تسنمه العرش، فيما كان وليام (William I of Blois) (١١٣٧-١١٥٩) الابن الثاني لستيفن صغيراً[١٥٤]، وكانت ابرز المشكلات التي لم يستطع ستيفن احتواءها خلافه مع الكنيسة ورجال الدين النافذين في السنوات الاخيرة من الحرب، نتيجة تداخل المصالح وسرعة تبدل التحالفات، وزادت تلك الخلافات حدة بسبب رغبة ستيفن في توريث العرش لابنه الأكبر يوستاس الذي أصبح منذ عام ١١٤٧ كونتاً على مقاطعة بولوني في فرنسا[١٥٥]، وكان ستيفن ميالاً لإعلان ابنه يوستاس ولياً لعهده أثناء حياته، خلافاً لما جرت عليه العادة في انكلترا، وهو ما رفضه رئيس أساقفة كانتربري ثيوبالد، الذي اشترط موافقة البابا يوجين الثالث كأمر لا بد منه لإمضاء رغبة ستيفن، وكان تعيين رئيس الأساقفة ثيوبالد مندوباً بابوياً في انكلترا قد أضعف آمال الملك ستيفن، واوصل مباحثاته مع البابوية إلى طريقٍ مسدود[١٥٦]، ومما فاقم الأمر أن هنري بلانتاجانت بوصفه ــ الوريث المفترض للإمبراطورة ماتيلدا وأبيه جيوفري ــ بدأ يحضى بدعم أطراف إقليمية مهمة ليستكمل مهمة والدته في استحصال عرش إنكلترا، وفي مقدمتهم عاهل اسكتلندا وخال الإمبراطورة ما تيلدا ديفيد الأول الذي رغب في منح هنري بلانتاجانت دعماً معنوياً، فوجه اليه دعوة لزيارته في النصف الأول من عام ١١٤٩ لإجراء مراسيم ترسيم هنري بلانتاجانت فارساً، وبعد لقائهما منح العاهل الاسكتلندي ديفيد الأول في ٢٢ ايار ١١٤٩ وسام الفروسية الى هنري بلانتاجانت في مدينة كارلايل الإنكليزية، بحضور عدد كبير من البارونات النورمان والإنكليز والاسكتلنديين، وابرم على هامش الاحتفال اتفاق ثلاثي مبدئي ضد الملك ستيفن، من قبل ديفيد الاول وهنري بلانتاجانت والبارون الإنكليزي الان تشيستر[١٥٧]، مما أثار مخاوف الملك ستيفن من التداعيات العسكرية والسياسية المترتبة على هذا الأمر، فزحف بقواته نحو يورك، لخشيته من توجه الملك ديفيد الأول وهنري بلانتاجانت اليها، واتخاذها منطلقاً عسكرياً لإسقاطه، ورابط الملك ستيفن في يورك طوال شهر آب ١١٤٩، وباشر ابنه يوستاس بمهاجمة ممتلكات النبلاء الذي حضروا مراسيم ترسيم هنري بلانتاجانت فارساً، أما رده السياسي على تلك المراسيم فتجلى في ترسيم ابنه يوستاس فارساً أثناء مرابطتهما في يورك، ومع أن الأمور كادت تصل الى السجال بين عاهلي البلدين لكنهما سرعان ما انسحبا مفضلين تأجيل المعارك الى وقت أخر[١٥٨]، وتفاقم الأمر أكثر على الملك ستيفن بعد

أن أصبح هنري بلانتاجانت دوقاً على نورماندي مطلع كانون الثاني ١١٥٠، ثم كونتاً على أقليمي انجو وتورين بعد وفاة ابيه في ٧ ايلول من العام اللاحق، وزادت هيبته وقوته أكثر حين تزوج في ايار ١١٥٢ بصورة مفاجئة من دوقة آكيتاين (اقطانية) الجذابة إليانور آكيتاين (Eleanor of Aquitaine) (١١٢٢-١٢٠٤)، الزوجة السابقة لعاهل فرنسا لويس السابع، مما جعل هنري حاكماً لشطرٍ كبير من أراضي فرنسا، ومنحه قدرة وموارد كثيرة مكنته من ولوج الحرب الأهلية الإنكليزية لاستحصال ما اعتقد أنه أرث والدته[١٥٩]، وكان اقتران ذلك بمباركة القطب الأبرز للحرب الأهلية الإنكليزية الإمبراطورة ماتيلدا لنوايا ابنها، وإعلان تنازلها عن حقوقها في عرش إنكلترا اليه قد افرز هنري بلانتاجانت بوصفه وريث والدته الإمبراطورة والخصم الأوحد للملك ستيفن، وانعكس على مسار تلك الحرب بقوة[١٦٠]، ومع أن ستيفن بذل في الوقت عينه جهوداً مضاعفة لتتويج يوستاس في عيد الفصح عام ١١٥٢، وجمع نبلاءه لأداء مراسيم الولاء إلى يوستاس بوصفه ولياً لعهد ستيفن، بيد أن رئيس أساقفة كانتربري ثيوبالد رفض أن يشترك أو أياً من رجاله في مراسيم التتويج، فسجنه الملك ستيفن مع كبار الأساقفة، ورفض اطلاق سراحهم إلا بعد نزولهم عند رغبته[١٦١]، فهرب ثيوبالد من سجنه إلى الفلاندرز، حينها اضطر الملك ستيفن الى مداراة البابوية في هذا الظرف الدقيق، فأعلن ندمه على تعامله السابق مع ثيوبالد، واقنعه بالعودة مجدداً إلى انكلترا، لكن علاقة البابوية والكنيسة الإنكليزية مع الملك ستيفن برغم ما تقدم أصبحت في أسوء حالاتها[١٦٢]، لاسيما بعد أن بينت البابوية لأساقفتها في إنكلترا أنها لا تعترف بشرعية تسنم ستيفن للعرش، ولا توافق على انتقال عرشه الى ابنه يوستاس تحت طائلة أي ظرف، ولا غرو أن ما تقدم أقنع الملك ستيفن أن ظهور هنري بلانتاجانت في المعادلة السياسية والعسكرية الإنكليزية شجع البابوية وسواها من منافسي ستيفن على الخوض قُدُمَاً في مناوأته، وأن هنري بلانتاجانت غدا العقبة الكأداء أمام تحقيق أهدافه[١٦٣]، لاسيما بعد أن باشر هنري بلانتاجانت بتعبئة قواته في حزيران ١١٥٢، في مدينة بارفلر استعداداً لغزو انكلترا، فقرر الملك ستيفن حبك معادلة مضادة لتدابير هنري من خلال الإفادة من الكره الشديد الذي كنه عاهل فرنسا لويس السابع لهنري بلانتاجانت، الذي تزوج من طليقته مع ما ترتب على ذلك من تداعيات معنوية وسياسية، وزج الملك ستيفن ابنه يوستاس في تلك المعادلة، مستفيداً من مصاهرته للعائلة المالكة الفرنسية[١٦٤]، ومن ثم فإن تحالفاً وثيقاً مضاداً لهنري بلانتاجانت أُبْرِمَ بين عاهلي فرنسا وانكلترا، أشترك على أثره عاهل فرنسا لويس السابع مع الأمير يوستاس في حملة مشتركة ضد نورماندي عام ١١٥٢ انتهت الى فشل ذريع بسبب الفعاليات القتالية التي ابداها دوق نورماندي هنري بلانتاجات، بالشكل الذي أجبر اعدائه على الانسحاب بمن تبقى من قواتهم من نورماندي، ولم يفلح لويس السابع سوى في الأستيلاء على قلعة واحدة على التخوم الجنوبية لنورماندي، هي قلعة نوف مارشي (Neufmarche) التي منحها لويس السابع الى صهره يوستاس كي تكون منطلقاً لحملات مقبلة ضد الدوقية[١٦٥].

قرر هنري بلانتاجانت الاستفادة من الحيثيات السابقة، لاسيما رفض البابوية لتسنم يوستاس عرش انكلترا، ومناوأتها لستيفن الذي جاهرها بالعداء، ليلج هنري الحرب بقوة، معتمداً على ولاء انصاره في انكلترا، وكان استيلاء الملك ستيفن صيف عام ١١٥٢ على قلعة نيوبري (Newbury Castle) القريبة من ونشستر، وتركيز جهوده العسكرية على والينجفورد معقل اتباع هنري بلانتاجانت الانجويين[١٦٦]، فرصة اقتنصها الأخير لتغيير حيثيات الحرب الأهلية، لاسيما أن أتباعه طلبوا دعمه أو منحهم الإذن بتسليم القلعة الى الملك ستيفن،

الامر الذي سيشكل في حالة حدوثه ضربة موجعة لجهود هنري بلانتاجانت لتسنم عرش إنكلترا، لذا لبى هنري نداء أتباعه فعبر المانش متجهاً إلى انكلترا مطلع كانون الثاني ١١٥٣، بيد أنه اتبع أسلوباً ذكياً في سحب قوات عدوه ستيفن من قلعة والينجفورد[١٦٧]، فهاجم بلدة مالمزبري القريبة منها، وحين احتلها حاصر قلعة مالمزبري (Malmsbury Castle)، فعلم الملك ستيفن بالأمر فترك حصار والينجفورد متجهاً لمواجهة عدوه هنري، ومع أن قوات هنري عسكرت خارج المدينة استعداداً لمواجهة قوات ستيفن بيد أن تحصنها على نهر صغير خارج البلدة، فضلاً عن البرد القارص وهطول الأمطار التي أحدثت فيضانات، حالت دون حدوث الصِدام، واجبرت الملك ستيفن على العودة الى لندن، لتستسلم حامية قلعة مالمزبري لقوات هنري بعد يأسها من عاهلها ستيفن[١٦٨]، وسرعان ما اغتنم هنري الفرصة ليزحف نحو قلعة والينجفورد التي ما أن أقبل عليها حتى فتحت حاميتها أبواب القلعة محتفية بقدومه، واللافت أن هنري بإمكاناته العسكرية المحدودة حقق مزيداً من الانجازات العسكرية، حين باشر حصاراً لقلعة كرومارش (Crowmarsh Castle) الملكية القريبة من والينجفورد، وحفر حولها خندقاً، كي يضطر ستيفن في حال مجيئه لإنقاذها للمرور قرب قلعة والينجفورد[١٦٩]، فقرر الملك ستيفن فور ورود هذا الخبر اليه قطع دابر هنري، وعبأ الملك قواته في أوكسفورد واتجه نحو والينجفورد، فالتقى الجانبان مع بعضهما عبر نهر التايمز قرب والينجفورد في تموز ١١٥٣، بيد أن البارونات الذين بدوا منهكين وممتعضين في هذه المرحلة من الحرب فضلوا تجنب معركة مفتوحة، وتوسطوا مع بعض رجال الكنيسة لدى طرفي الحرب لعقد هدنة، بغية إحراج ستيفن وهنري بلانتاجانت على حدٍ سواء[١٧٠]، وهناك تفسير أخر لمواقف البارونات المناوئة للحرب مفادها أنه في حال انتصار أحد الطرفين على الأخر فسيكونون مجبرين على الخضوع له، فيضعف نفوذهم في البلاد، أما في حالة عدم حسم سجال الامير الغازي وعاهلهم، فإنهم سيتمكنون من الاستمرار في ممارسة نفوذ متزايد في إنكلترا[١٧١]، يضاف الى ذلك أن البابوية وجهت رجال الدين الإنكليز في مرحلة سابقة، وفي مقدمتهم رئيس أساقفة كانتربري على دعم هنري بلانتاجانت لتسنم عرش انكلترا، واستخدام نفوذهم لاقناع ستيفن بهذا الامر، واستبعاد ابنه يوستاس[١٧٢]، وايا كانت أسباب توسط البارونات والأساقفة بين هنري وستيفن، فإن هذه الظروف والملابسات بمجملها أجبرت الملك ستيفن على عقد لقاء سري مع هنري بلانتاجانت لمناقشة تصورات الرجلين حول كيفية انهاء الحرب، وامكانية الوصول إلى حل توفيقي ينهي خلافهما المزمن، ومع أن هذا الإجتماع انتهى الى الفشل لكن الملك ستيفن اتفق مع هنري على استئناف محادثاتهما لوقتٍ لاحق، ثم قرر الملك العودة الى لندن دون خوض معركة لادراكه عدم رغبة بارونات في القتال[١٧٣].

قرر يوستاس ابن ستيفن، الذي كان مضطرباً مما حدث، عدم الإعتماد على جيوش أبيه، فباشر في كامبريدج جهوداً مضنية لجمع المزيد من الأموال والفرسان استعداداً لسجال شديد مع هنري لكن المنية عاجلت يوستاس بعد شهر، وتحديداً في ١٩ اب[١٧٤]، لتفتح الباب على مصراعيه لآمال واحتمالات وسيناريوهات حول وراثة العرش الإنكليزي، فقد حطم موت يوستاس حلم ستيفن بنقل العرش لولده، وأراح الساعين إلى سلام دائم في إنكلترا. ومع أن هناك من يقول أن الملك ستيفن كان قد بدأ أصلا يغض النظر عن مطالبته بالعرش ليوستاس قبل موته، وهو ما بدا واضحاً في محادثات والينجفورد التي لم تتطرق باي شكل كان إلى إدعاء يوستاس

بالعرش، لكن وفاته زادت من قناعة ستيفن بعبثية الاستمرار في الحرب[١٧٥]، في ظل حقيقة موت ابنه البكر[١٧٦]، ومعارضة البارونات والكنيسة على حد سواء لتنصيب أي من ابناء ستيفن الأخرين[١٧٧].

سار القتال الفاتر بين الطرفين لصالح هنري، الذي سيطر على أوكسفورد وستامفورد وحصر قلعة نوتنغهام (Nottingham Castle)، مستغلاً إنشغال الملك بمقاتلة أيرلنورفولك هيو بيجود في شرقي إنكلترا[١٧٨]، في هذه الأثناء تم الاتفاق بين هنري بلانتاجانت ورئيس أساقفة كانتربري ثيوبالد، بغية التدخل للصلح واحلال السلام بينه وبين الملك، لان مبادرة ثيوبالد من شأنها الضغط على ستيفن لقبول السلام، فاجتمعت جيوش ستيفن وجيوش الامبراطورة بقيادة ابنها هنري مرة أخرى في وينشستر في تشرين الثاني، ليس للقتال هذه المرة، بل بغية توقيعهما شروط سلام دائم[١٧٩]، وسرعان ما أعلن ستيفن معاهدة وينشستر في كاتدرائية المدينة، مفصلاً بنودها، التي اعترف بموجبها أن هنري ابن الامبراطورة ماتيلدا ابناً له بالتبني، وخليفته على العرش، مقابل احترام الأخير للملك ستيفن وتأكيد شرعيته في حكم إنكلترا، ووعد الملك ستيفن بالتشاور مع هنري بلانتاجانت في الأمور المهمة، لكنه احتفظ بجميع الصلاحيات الملكية. اما أبن ستيفن وليام، فاتفقا انه سيحضى باهتمام هنري بلانتاجانت، وسيبقي له اراضيه واملاكه التي سيرثها من أبيه ستيفن، مقابل تعهد وليام بعدم المطالبة بعرش إنكلترا أبداً، وسيدير الكفلاء الضامنون لمعاهدة وينشيستر القلاع الملكية الأساسية نيابة عن هنري، في حين أن الملك ستيفن سيحتفظ بحق الوصول إلى قلاع هنري، وبين الملك ستيفن في اعلانه الإتفاق على تسريح المرتزقة الأجانب وإعادتهم إلى ديارهم[١٨٠]. وختم ستيفن وهنري ذلك الإعلان بقبلة السلام (Kiss of Peace)[١٨١]، وهكذا عادت انكلترا إلى الهدوء، وسارت الامور نسبياً على ما يرام، لتنتهي الحرب الأهلية الشعواء التي عانتها إنكلترا سنين طوال[١٨٢]، وبوفاة الملك ستيفن، في ٢٥ تشرين الأول ١١٥٤[١٨٣]، وتسنم هنري الثاني بلانتاجانت العرش أصبحت تلك الحرب من الماضي، لا سيما بعد أن بذل هنري الثاني جهوداً حثيثة لاجتثاث آثارها بوسائل، ليس أخرها نظام المحلفين الذي ضمن له تصفية الحساب ممن تورطوا في الحرب الأهلية على اختلاف طبقاتهم، ليدشن بعدها عهداً حافلاً بالتطورات الاجتماعية والدستورية[١٨٤]، وبهذا وصل هذا البيت إلى حكم إنكلترا، وقد عرف في المصادر بإسمين هما، بيت أنجو، أو بلانتاجانت.

الخاتمة:

استناداً الى ما لمسناه من وقائع الحرب الأهلية الإنكليزية وملابساتها، نرى ان مراكز القوى التي أسهمت في تلك الحرب الاهلية تعددت، وتباينت ولاءاتها وأهدافها، فلماتيلدا وابنها انصارها وابنها هنري أهداف غايرت الى حدٍ ما أهداف زوجها جيوفري انجو الذي ركز على نورماندي أكثر من تركيزه على إنكلترا، وخال الإمبراطورة ماتيلدا ديفيد الأول ملك اسكتلندا واخيها غير الشرعي روبرت فيتزروي، وكذلك عناصر المعسكر المقابل ستيفن وأخيه الأسقف هنري بلوا، وعدد من النبلاء النورمان، كل هؤلاء جاءوا من وراء الحدود، إما من إقليم نورماندي في الجانب الفرنسي أو من اسكتلندا، وانضم اليهما بعض البارونات الإنكليز والنورمان، فانقسموا إلى قسمين بين مؤيد لماتيلدا، منهم بارونات شمالي إنكلترا، ومؤيد لستيفن، منهم اللورد هيو بيجود، كما ظهرت فئة من البارونات الإنكليز الجشعين الذين آذوا البلاد ممن لم يهمهم صالح البلاد، وظلوا معزولين عن الطرفين، لكنهم استغلوا فرصة الحرب للاستيلاء على ممتلكات المزارعين والمواطنين، فربما كان من

الممكن التخفيف من آثار هذه الصراعات، لو كان للبارونات الإنكليز موقفا آخر اكثر مبدئية واخلاص، فمثلا لم يكن لماتيلدا وزوجها أن يدخلوا البلاد؛ لو لا دعوة بعض البارونات المستعدين دوما لتحويل اتجاه رماحهم حيث تقتضي مصالحهم، فحينما استنفذوا الفائدة من ستيفن حوّلوا وجهتهم لخصيمته، كي تتصاعد الاضطرابات فينتفعوا مرة اخرى، حتى ولو على جثث ابناء اقطاعاتهم المساكين.

وربما يعد بعض المتابعين انتظار موقف وطني من هؤلاء البارونات من قبيل المستحيل في ظل ظروف الزمان، بل ويستبعدون ان تكون للشعب الإنكليزي كلمة، وهو ما يمكن نفيه بسهولة بسبب مواقف رافضة وفاعلة اتخذها سكان بعض المدن من الطرفين، بل واحيانا اعلان الثورة ضد سياسات الحكام من الاطراف المتقاتلة، وهنا تبرز مواجهة السكان الإنكليز في المقاطعات الشمالية للغزو الاسكتلندي، بعد ان بادر الأسقف تورستين بايويكس إلى تعبئتهم دينيا ومعنويا، وأدى إلى رفع معنوياتهم بإجراءات رمزية عقيدية، فحققوا انتصارا كبيرا على الغزاة الاسكتلنديين. لكن ذلك لم يحصل الا هذه المرة، وكانت نتيجة الحرب ضياع أموال كثيرة وتدمير اقطاعات كبيرة وسحق جموع من البؤساء، فضلا عن استنزاف اموال الناس في الضرائب والاتاوات في سبيل الحرب وبناء العديد من القلاع غير المنظمة.

أما رجال الكنيسة، فلهم قصة مؤلمة أخرى حينما توزعوا إلى فريقين في تأييد الطرفين كل حسب مصالحه ولم يترددوا في تغيير مواقفهم، فقد ناصر كل من الأسقف نايجل إيلي والأسقف ويليام رئيس أساقفة كانتربري ماتيلدا مدة من الزمن، فيما أيد ستيفن كل من الأسقف روجر سالزبوري والأسقف ثيوبالد، فضلا عن الأسقف تورستين بايويكس، وحتى حين حصل ستيفن على مباركة البابا لوسيوس الثاني، كان ذلك نتيجة معلومات الأساقفة المؤيدين له، أي ان الاستنتاج المهم هنا أن المرجعيات الاجنبية الغربية سواء في روما او نورماندي او اسكتلندا، حكمتها مصالحها في مواقفها، وليس مبادئ الفروسية او الدين المسيحي، فحين طلبت ماتيلدا من الأسقف ثيوبالد رئيس أساقفة كانتربري تنصيبها بدلا من ستيفن؛ رفض ذلك لحاجة في نفسه ربما كي لا يندم مستقبلا، ولم يرعوي رجال الدين انفسهم في الدخول في خلافات وصراعات وانقسامات عقيدية وسياسية دون حياء، فأدت إلى انقسام الكنيسة وسط هذا الخضم، ولم يترددوا طوال الحرب في توظيف الدين وشعاراته في تجنيد الشعب خدمة لمآربهم، وحتى حينما لاحت أمام ستيفن فرصة النصر النهائي، مال رجال الكنيسة لعقد هدنة بينه وبين خصمه هنري ابن الامبراطورة واحراج الطرفين.

لقد انتفع الجميع من هذه الحرب وتقاسموا المغانم على جثث البائسين بعد ان انتهت الحرب، ما عدا الشعب الإنكليزي، مقابل ذلك سجل التاريخ ان الأراضي والاقطاعات التي تضررت بصورة طفيفة، هي أراضي ستيفن في الجنوب الشرقي ومناطق ألانجويين حول جلوسيستر وبريستول. ولم يرحم إنكلترا والشعب الإنكليزي، إلا الموت المفاجئ ليوستاس بن ستيفن المرشح لتولي عرش البلاد، فانتهت حينها الحرب بين المتصارعين بقبلة السلام المسيحية، وتصالح الفريقان بأن عدّ ستيفن وريثه هنري الثاني ولدا له بالتبني.

وتأكيد ا لهذا المنهج أننا لاحظنا في اكثر من موقف، ان ستيفن كان ليّنا مع بنت خاله ماتيلدا ولم يشأ ان يعرضها للموت في مواقف، وكذلك الحال في موقف ملك اسكتلندا ديفيد الأول من قضية اطلاق سراح ستيفن

من الأسر، كما لاحظنا ان ستيفن بادر ذات مرة أن يدفع لجنود هنري مستحقاتهم بنفسه، كي يتم السماح لهنري بالعودة إلى فرنسا بأمان.

هوامش الدراسة:

(١) ملك إنكلترا ودوق نورمانديا، الابن الرابع لوليام الأول، حارب أخاه روبرت الثاني دوق نورماندي وهزمه في معركة تينشيبراي في سنة ١١٠٦ وأخذ منه لقب دوق نورمانديا. توفي من التخمة، اشتهر بأنه أكثر ملك إنجليزي أنجاباً للأولاد غير الشرعيين (عددهم يتراوح بين عشرين إلى خمس وعشرين طفل).

Emma Mason, King Rufus: the Life and Murder of William II of England. Stroud, UK: The History Press, ٢٠٠٨, p. ٢٢٨ – ٢٣١.

(٢) وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٥٩، ص٥٢٨-٥٣٠ ؛ عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الاوربية ٤٧٦-١٥٠٠، بيروت، ١٩٦٧، ص١٧٦-١٧٧.

(٣) Norman F, Cantor, Civilization of the Middle eags, Harper, ١٩٩٣, p.٣٥٠.

(٤) محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٤٨.

(٥) أنجب أكثر من عشرين ابن غير شرعي، http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٦) Norman Cantor, Op. Cit., p.٣٥٠.

(٧) Edith Samuel R. Gardiner, A Students History of England From the Earliest Times to the Death of King Edward VII, Vol. I., London, ١٩١٦, p.٩٠.

(٨) Edith Thompson, A History of England, New York, ١٨٧٣, p.٤٦

(٩) Ibid, p.٤٦.

(١٠) Emilie Amt, The Accession of Henry II in England: Royal Government Restored ١١٤٩-١١٥٩, Woodbridge, ١٩٩٣, p.٩٧.

(١١) Charles M. Andrews, A History of England Revised and Enlarged, Boston, ١٩٠٣, p.٨٨.

(١٢) A group of authors, Cassell's History of England From the Roman invasion to the wars of the Roses, Vol. I, London, ١٩٠٩. p.١٦٦.

(١٣) Allen C. Thomas, A.M., A History of England, Boston, ١٩١٣, p.٦٣.

(١٤) Andre Maurois, A history of England, Translated from the French by Hamish Miles, London, ١٩١٧, p.٩٤.

(١٥) A group of authors, Op. Cit., Vol. I, p.١٦٦.

(١٦) Edith Thompson, Op. Cit., p.٤٦

(١٧) نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ج١، بيروت، ١٩٨٢، ص٨٠٧.

(١٨) Frank Barlow, The Feudal Kingdom of England ١٠٤٢-١٢١٦, Harlow, UK, ١٩٩٩, p.١٦٣.

(١٩) مقالة عنه في صحيفة التلغراف البريطانية، الاثنين ٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٨.

(٢٠) عبد القادر احمد اليوسف، المصدر السابق، ص١٧٧-١٧٨.

(٢١) Edmund King, King Stephen New Haven, ٢٠١٠. P.١٥٥.

(٢٢) John Richard Green, History of England, Vol. I, London, ١٩٣٤, p.١٦٧.

(٢٣) A group of authors, Op. Cit., Vol. I, p.١٦٨.

(٢٤) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص٨٠٨.

(٢٥) A group of authors, Op. Cit., p.١٦٨-١٦٩.

(٢٦) White Kennett and Oters, A Complete history of England with the lives Kings and Queeens from the earliest account of time to the death of His late Majesty King William III, Vol. I, London, ١٧٠٦, p.١٢٥.

(٢٧) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص٢٤٩.

(٢٨) J. Franck Bright, M. A., A History of England, London, ١٨٧٧, p.٧٧.

(٢٩) A group of authors, Op. Cit., p.١٦٨.

(٣٠) Allen C. Thomas, A.M., Op. Cit., p.٦٣.

(٣١) Charles M. Andrews, Op. Cit., p.٨٨.

(٣٢) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.١٦٠.

(٣٣) E. Wyatt Davies, M.A., A History of England, New York, ١٩١٦, p.٦٥.

(٣٤) Edith Thompson, Op. Cit., p.٤٦.

(٣٥) White Kennett and Others, Op. Cit., Vol. I, p.١٢٦.

(٣٦) J. Franck Bright, M. A., Op. Cit., p.٧٨.

(٣٧) عبد القادر اليوسف، المصدر السابق، ص١٧٨.

(٣٨) Charles M. Andrews, Op. Cit., p.٨٨ ; J. Franck Bright, M. A., Op. Cit., p.٧٩.

(٣٩) A group of authors, Op. Cit., p.١٦٩.

(٤٠) J. Strayer and D. Monro, The Middle ages ٣٩٥-١٥٠٠, New York, ١٩٤٢, p.٢٧٥-٢٧٧.

(٤١) Allen C. Thomas, A.M., Op. Cit., p.٦٤-٦٥.

(٤٢) J. Strayer and Monro, Op. Cit., p.٢٧٨.

(٤٣) E. Wyatt Davies, M.A., Op. Cit., p.٦٤ – ٦٥.

(٤٤) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.١٦٠.

(٤٥) Franck Bright, M. A., Op. Cit., p.٧٩.

(٤٦) E. Wyatt Davies, Op. Cit., p.٦٥.

(٤٧) Franck Bright, M. A., Op. Cit., p.٧٩.

(٤٨) Frederic G. Bagshawe, The history of the royal family of England, Vol. I, London, ١٩١٢, p.٤٩.

(٤٩) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.١٦١.

(٥٠) White Kennett and Oters, Op. Cit., Vol. I, p.١٢٧-١٢٨.

(٥١) Allen Thomas, Op. Cit., p.٦٤.

(٥٢) E. Wyatt Davies, Op. Cit., p.٦٥.

(٥٣) Norman F, Cantor, Op. Cit., p.٢٨٧-٢٨٨.

(٥٤) Edward A. Freeman, The History of the Norman of England: Its Causes and Its Results, Op. Cit., p.١٧١.

(٥٥) Charles M. Andrews, Op. Cit., p.٨٨.

(٥٦) A group of authors, Op. Cit., p.١٦٩ – ١٧٠.

(٥٧) Edward A. Freeman, the History of the Norman…., Op. Cit., p.١٧١.

(٥٨) تراجع مقالة مهمة عنه: (https://en.wikipedia.org/wiki/Thurstan.

(٥٩) E. Wyatt Davies, Op. Cit., p.٦٥.

(٦٠) Frank Barlow, Op. Cit., p.٢١١ .

(٦١) Alan Orr Anderson, Scottish Annals from English Chroniclers ٥٠٠–١٢٨٦, London, ١٩٠٨, p.٢٠٤.

(٦٢) Ibid, p.٢٠٥-٢٠٦.

(٦٣) A group of authors, Op. Cit., p.١٧١.

(٦٤) John Major, A History of Greater Britain as well England as Scotland, Compiled from the Ancient Authorities, ١٨٩٢., p.١٣٥.

(٦٥) سهيل زكار، تواريخ أسرة بلانتغنت، دمشق، ١٩٩٨، ص٦٩-٧٠.

(٦٦) John Major, Op. Cit., p.١٩٩.

(٦٧) David Carpenter, Struggle for Mastery: The Penguin History of Britain ١٠٦٦–١٢٨٤. London, ٢٠٠٤, p.١٦٩.

(٦٨) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص٢٤٩ – ٢٥٠.

(٦٩) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٧٢-٧٣.

(٧٠) A group of authors, Op. Cit., p.١٧٢.

(٧١) Frank Barlow, Op. Cit., p.١٧٣.

(٧٢) Ibid, p.١٧٣.

(٧٣) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص٢٤٩.

(٧٤) Norman Cantor, Op. Cit., p.٢٨٨.

(٧٥) H. W. C. Davis, England under the Normans and Angevins, ١٠٦٦ –١٢٧٢, Vol. II, London, ١٩١٥, p.٣٤.

(٧٦) Ibid, p.٣٩.

(٧٧) نظير حسان سعداوي، تاريخ إنكلترا في العصور القديمة والوسطى، القاهرة، ١٩٥٨، ص٧٤.

(٧٨) Jim Bradbury, Stephen and Matilda. the Civil War of ١١٣٩–١١٥٣, Stroud, ٢٠٠٩, p.٧٨.

(٧٩) Norman Cantor, Op. Cit., p.٢٩٤..

(٨٠) Ibid., p.٢٨٨.

(٨١) John Gillingham, "١٠٦٦ and the Introduction of Chivalry into England," in Garnett, George and John Hudsdon. (eds) Law and Government in Medieval England and Normandy: Essays in Honour of Sir James Holt. Cambridge, ١٩٩٤, p.٣١.

(٨٢) محمود سعيد عمران، المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٨٣) H. W. C. Davis, Op. Cit., Vol. II, p.٤٣.

(٨٤) Norman Cantor, Op. Cit., p.٢٩٥.

(٨٥) نظير حسان سعداوي، المصدر السابق، ص٧٤.

(٨٦) A group of authors, Op. Cit., p.١٧٢.

(٨٧) Jim Bradbury, Op. Cit., p.٧٨.

(٨٨) Ibid, p.٩١.

(٨٩) Cyril E. Robinson, A history of England early and middle ages to ١٤٨٥, London, ١٩٢٠, p.٩٨.

(٩٠) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.٥٠.

(٩١) Cyril E. Robinson, Op. Cit., p.٩٨.

(٩٢) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.٥١.

(٩٣) S. G. Goodrich, A Pictorial History of England, Philadelphia, ١٨٥٤, p.٧٥.

(٩٤) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.٥٢.

(٩٥) يراجع، للاطلاع على حياته :

.http://www.genealogieonline

(٩٦) يراجع، للاطلاع على حياته :

Mark Olly, The Life and Times of the Real Robyn Hoode, London, ٢٠١٥.

(٩٧) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٠٥.

(٩٨) Ibid, p.١٠٨-١٠٩.

(٩٩) انجو أو الإمبراطورية الأنجوية: مصطلح حديث يصف مجموعة المناطق التي حكمها بيت بلانتاجانت الأنجويون الواقعة بين جبال البرانس جنوباً حتى إيرلندا شمالاً أثناء القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر، وعاصمتها شينون تأسست سنة ١١٥٤، والاسرة الحاكمة عرفت على نطاق واسع باسمين هما بيت أنجو، لأن جيفري هو كونت أنجو الخامس، أو بيت بلانتاجانت وهو الاسم المستعار الذي اتخذه والد جيوفري.

http://ar.wikipedia.org/wiki/

(١٠٠) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٠٨-١٠٩.

(١٠١) محمود سعيد عمران، ص٢٥٠.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص٢٥٠.

(١٠٣) Edmund King, Op. Cit., p.١٥٤-١٥٦.

(١٠٤) David Carpenter, Op. Cit., p.٤٧.

(١٠٥) نظير حسان سعداوي، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥.

(١٠٦) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.٦٧.

(١٠٧) Ibid, p.٦٧-٦٨.

(١٠٨) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٠٨-١٠٩.

(١٠٩) تراجع هذه القوانين، في:

https://en.wikipedia.org/wiki/Leges_Edwardi_Confessoris

(١١٠) S. G. Goodrich, Op. Cit., p.٧٥.

(١١١) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص٨١٠.

(١١٢) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٠٨-١٠٩.

(١١٣) Edmund King, Op. Cit., p.١٥٥.

(١١٤) S. G. Goodrich, Op. Cit., p.٧٥.

(١١٥) Edmund King, p.١٥٦.

(١١٦) Ibid, p.١٥٥-١٥٦.

(١١٧) Edmund King, p.١٥٤-١٥٥.

(١١٨) S. G. Goodrich, Op. Cit., p.٧٦.

(١١٩) Edmund King, Op. Cit., p.١٥٥.

(١٢٠) Frank Barlow, Op. Cit., p.١٧٦.

(١٢١) Ibid, p.١٧٧.

(١٢٢) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.٧٦.

(١٢٣) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٣٦.

(١٢٤) Ibid, p.١٣٧-١٣٨.

(١٢٥) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٦١-٦٤.

(١٢٦) نظير حسان سعداوي، المصدر السابق، ص٧٥.

(١٢٧) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.٧٨.

(١٢٨) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٤١–١٤٣.

(١٢٩) Ibid, p.١٤٤-١٤٥.

(١٣٠) Frank Barlow, Op. Cit., p.١٧٩.

(١٣١) Ibid, p.١٧٧.

(١٣٢) Graeme J. White, King Stephen's Reign ١١٣٥-١١٥٤, UK, ٢٠٠٨, p.١٣٣.

(١٣٣) Jim Bradbury, Op. Cit., pp.١٤١-١٤٥, ١٤٦-١٤٧.

(١٣٤) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.٩٧.

(١٣٥) Quoted in: Richard Huscroft, Ruling England ١٠٤٢-١٢١٧, Harlow (UK), ٢٠٠٥, p.٧٦.

(١٣٦) Frank Barlow, Op. Cit., p.١٨١.

(١٣٧) Quoted in: Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٩١.

(١٣٨) C. R. L. Fletcher & Rudyard Kipling, History of England, Garden City, ١٩١١, p.٦٨.

(١٣٩) William Grimshaw, History of England from the first invasion by Julius Cesar to the Year Eighteen Hundred and Fifty prizing every political event worthy of Remembrance a progressive view, Philadelphia, ١٨٥١, p.٤٦.

(١٤٠) S. G. Goodrich, Op. Cit., p.٧٥.

(١٤١) C. R. L. Fletcher & Rudyard Kipling, Op. Cit., p.٦٨.

(١٤٢) Samuel R. Gardiner, Op. Cit., Vol. I, p.٩٢.

(١٤٣) J. Franck Bright, M. A., Op. Cit., p.٨٧.

(١٤٤) Edith Thompson, Op. Cit., p.٤٧-٤٨

(١٤٥) هـ. أ. ل. فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، القسم الثاني، ترجمة: محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني، ط٤، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٢٥.

(١٤٦) Frank Barlow, Op. Cit., p.١٨١.

يراجع للاطلاع على ذلك القانون:

https://simple.wikipedia.org/wiki/Royal_forest

(١٤٧) David Carpenter, Op. Cit., p.١٩٧.

(١٤٨) Graeme J. White, Op. Cit., p.١٣٢.

(١٤٩) نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص٨١٠.

(١٥٠) Frank Barlow, Op. Cit., p. ١٨٠.

(١٥١) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.١١١-١١٢.

(١٥٢) Frank Barlow, Op. Cit., p.٨٠.

(١٥٣) Edmund King, Op. Cit., p.٢٥٣-٢٥٥.

(١٥٤) Ibid, p.٢٣٧-٢٣٩.

تزوج وليام فيما بعد، من إيزابيل وارن (Isabel de Warenne) (١١٣٧-١٢٠٣) الوريثة الغنية لكل املاك ابيها في وارين.

(١٥٥) H. W. C. Davis, Op. Cit., p.١٠٥.

(١٥٦) John Richard Green, Op. Cit., Vol. I, p.١٦٧.

(١٥٧) L. F. Salzmann B. A. F.S.A., Henry II, Boston, ١٩١٤, p.٦.

(١٥٨) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٨٣.

(١٥٩) David Carpenter, Op. Cit., p.١٨٨.

يراجع للاطلاع على قصة هذه المرأة واقترانها من لويس السابع ثم هنري الثاني: نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص٨٠٦.

(١٦٠) Jim Bradbury, Op. Cit., p.٢٠٦.

(١٦١) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٨٦.

(١٦٢) Edmund King, Op. Cit., p.٢٦٤.

(١٦٣) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٨٦.

(١٦٤) L. F. Salzmann B. A. F.S.A., Op. Cit., p.٨.

(١٦٥) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٨٦.

(١٦٦) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٨٢.

(١٦٧) L. F. Salzmann B. A. F.S.A., Op. Cit., p.٩.

(١٦٨) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٨٨ – ٨٩.

(١٦٩) L. F. Salzmann B. A. F.S.A., Op. Cit., p.١٠.

(١٧٠) Ibid, p.١٨٣.

(١٧١) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٩٠.

(١٧٢) زينب عبد المجيد عبد القوي، الانجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩ ـ ١٢٩١، ط١، القاهرة، ١٩٩٦، ص٥٥.

(١٧٣) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٩٠.

(١٧٤) L. F. Salzmann B. A. F.S.A., Op. Cit., p.٨.

(١٧٥) Quoted in: Ibid., p.٢٧٨.

(١٧٦) Allen C. Thomas, A.M., Op. Cit., p.٦٦.

(١٧٧) سهيل زكار، المصدر السابق، ص٨٦، ٩٠.

(١٧٨) Jim Bradbury, Op. Cit., p.١٨٤.

(١٧٩) Edmund King, Op. Cit., p.٢٧٩-٢٨٠.

(١٨٠) Frank Barlow, Op. Cit., p.٨٩-٩٠.

(١٨١) تحية مسيحية تقليدية تجري في طقوس كنسية خاصة أو أثناء القداس، وتسمى احيانا (القبلة المقدسة)، فإذا قام بها رجلان يعدان اشقاء، وإن كانتا امرأتين صارتا شقيقتين. وتعني ان السلام حل بين الطرفين تختلف من كنيسة لأخرى، وعموما فإنها تتضمن مصافحة وعناق. يراجع لمزيد من التفاصيل:

https://en.wikipedia.org/wiki/Kiss_of_peace

(١٨٢) هـ. أ. ل. فشر، المصدر السابق، القسم الثاني، ص ٢٧٩.

(١٨٣) Edith Thompson, Op. Cit., p.٤٨.

(١٨٤) المصدر نفسه، القسم الأول، ص١٦٧ – ١٦٨.